من أحداث الحروب الصليبية

مغامرة الصليبي أرناط الفاشلة

لغزو الحجاز

٥٧٨هـ / ١١٨٢م

د.عمر يحي محمد

أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز

من أحداث الحروب الصليبية

مغامرة الصليبي أرناط الفاشلة لغزو الحجاز ٥٧٨هـ / ١١٨٢م

د.عمر يحي محمد

مقدمة

تولد عن إعلان وقيام الحملات الصليبية التي قام بها الغرب الأوروبي في القرن الحادى عشر الميلادي / الخامس الهجري على الشرق الإسلامي ، حوادث عديدة رافقت هذه الحملة وشكلت جانباً من جوانبها المثيرة وأحداثها الكثيرة ، بعض الحوادث تركز في المنطقة التي قصدها الصليبييون بحملاتهم وهي فلسطين وبلاد الشام، وبعضها تجاوز إلى مناطق أخرى مجاورة او بعيدة.

ومن هذه الحوادث المغامرة التي قام بها أحد فرسان الحملة الصليبية الثانية ، والذي أصبح أميراً على مدينة أنطاكية ثم الكرك ، والذي دفعه طمعه وصلفه وخبثه إلى أن يتجرأ على القيام بهذه المغامرة وكان قمتها التخطيط لغزو الحجاز ومهاجمة مكة المكرمة والمدينة المنورة.

إن هذا البحث يتناول مغامرة رينو دي شاتيون ، والذي يسميه العرب "أرناط" لغزو الحجاز ، إبتداء من شخصيته القلقة والمقلقة ، والتخطيط الذي إتبعه والنتائج التي إنتهت إليها هذه المغامرة والنتائج التي ترتبت عليها في المعسكرين الإسلامي والصليبي.

إستطاع الصليبيون عقب إنتصاراتهم في الحملة الـصليبية الأولـى[١]، مستغلين الظروف التي كانت تحيط بالعالم الإسلامي ، وحالة الضعف التـي ألمت بالدولة العباسية ، وصراعها مع الدولة الفاطميـة[٢] ، وتراجـع القـوة الرئيسية في المنطقة وهي قوة الـسلاجقه [٣] ، إسـتطاعوا تـشكيل مركـز إستقرار لهم في الشرق الإسلامي من خلال إقامة ممكلة بيت المقدس وثـلاث أمارات أخرى هي : أمارة الرها، أمارة أنطاكية ، وأمارة طرابلس[٤].

ولكن رغم الإندفاع الصليبي وتمكنهم من خلال الحملة الصليبية الأولى من تحقيق إنتصارات هامة وجوهرية على الأرض الإسلامية ، إلا أنـه لـم يمض سوى خمسين عاماً حتى تغيرت الأوضاع في المنطقة ، فقد تراجعـت جبهة الصليبيين وأخذت في الإنهيار وإحتدمت الصراعات بين أمرائها ، فـي الوقت الذي سرت فيه روح جديدة في الجبهة الإسلامية ، حققت عدة نجاحات منها إستعادة الرها ومناطق أخرى هامة.

هذه التطورات إستدعت قيام حملة صليبية جديـدة ، ليتنـادى الغـرب المسيحي من خلال بابويته إلى الدعوة الى حملة جديدة ، أعلن عنهـا البابـا يوجين الثالث (Eugen III) في مجمع فزلاى سنة ١١٤٩م (٥٤٠هـ)[٥].

ومالبث كبار ملوك أوروبا أن لبوا دعوة البابا ، فسارع ملـك فرنـسا لويس السابع (Louis VII)[٦] وإمبراطور ألمانيا كونراد الثالث (Conrad III)[٧] إلى إعلان إنضمامها للحملة الصليبية، وتبعهما كبار الأمراء والقـادة والباحثين عن فرص جديدة في الشرق الإسلامي.

وأول مايلاحظ على الحملة الجديدة هو مشاركة الملوك ، ولذا سـميت بإسم (حملة الملوك) حيث أن ملوك أوروبا في هذة الفترة كانوا على وفـاق

مع البابوية بعكس الحملة الصليبية الأولى فقد كانوا على خلاف معهـا فلـم يشارك أي ملك منهم ، وإنما إقتصرت الحملة على الأمراء[٨].

ولكن الحملة الصليبية الثانية فشلت فشلاً ذريعاً ، ولم تحقق أيـاً مـن الأهداف التي جاءت لتحقيقها ، بسبب الخلافات التـي سـادت بـين قادتهـا (الملوك) وبسبب سوء التخطيط الذي إستندت عليه ، ولأن المسلمين توفر لهم في هذه الفترة زعامة إستطاعت أن تتصدى للحملة الجديدة هي نور الدين إبن عماد الدين زنكي[٩].

ورغم أن الحملة فشلت وعاد زعماؤها إلى أوروبا [١٠] ، إلا أن الكثير من رجالها والذين التحقوا بها تخلفوا في فلسطين ، وبـدأوا يـشاركون فـي أحداثها والصراعات السياسية التي سادت بين قادتها ، وكـان مـن هـؤلاء جوسلين الثالث دي كورتناي (Courtenay) وجيرارد ريدفورت (Gerard ridfort) إلا أن أهم هذه الشخصيات كان رينو دي شـاتيون (Renaud de chatillon) ، والذي تسمية المصادر الإسلامية بـ "أرناط"[١١].

من هو أرناط؟

برزت شخصية رينو دي شاتيون أو أرناط كما أطلقت عليه المـصادر الإسلامية على مسرح الأحداث في بلاد الشام وفلسطين في أعقـاب الحملـة الصليبية الثانية وقبيل مقدم الحملة الصليبية الثالثة ، ففي خضم الصراع بـين المسلمين والصليبيين ، وفي الصراع بين الأمراء الصليبيين أنفسهم ، بـرزت هذه الشخصية الغريبة القلقة والمقلقة ، فقد كان صليبياً مغـامراً ، قـدم مـن مدينة شاتيون (Chatillon) بفرنسا[١٢] ، بدافع الطمع ، وباحثاً عـن المجـد

والمغامرة ، التي سيطرت على كثيرين ممن شاركوا في الحملات الــصليبية من أمراء وأفصال وإقطاعى أوروبا.

منذ بداية وصوله إلى المنطقة برزت شخصية أرناط كشخصية غريبــه وعجيبه إتسمت بالمكر والخبث والتهور ، وذات قدرة على التأثير على معظم الشخصيات الحاكمة ، تنزع إلى السيطرة ، ولم يسلم من ضغوطه وممارساته ملوك بيت المقدس الخمسة الذين عاصرهم(١٣). وكثيراً ما أختلفت سياســات هؤلاء وخططهم مع تصرفاته وطموحاته ، وأثار أمامهم العديد من المــشاكل والإضطرابات والضغوط.

ومن تتبع مواقف وتصرفات أرناط نجد أنه طغـــى علـــى شخــصيتة وتصرفاته القسوة والتصلب والتنكر للعهود والمواثيق ، وكان قرصاناً خطيراً وقاطعاً للطرق سفاكاً للدماء ، كلما كان ذلك محققاً لمصلحته وطموحاتــه(١٤) كما أنه إمتلك من صفات المكر والدهاء والذكاء ماساعده في تحقيق كثير من طموحاته ومكنه من السيطرة على الآخرين.ذلك الطموح الذي كــان يــصل أحياناً إلى درجة التهور والتورط(١٥) ، وهو طموح لم يجعلــه مــن طــراز الفرسان الذين مجدتهم العصور الوسطى الأوروبية ، وكانوا حريصين علـــى التمسك بمبادئ الشرف والفروسية(١٦) ، وإنما قذف به إلى زاوية أخرى مــن ألخسة.

نظرة المؤرخين إلى شخصية أرناط

ولعل المؤرخون الغربيون هم أكثر من إستطاع تحديد معالم شخــصية أرناط بدقة ، فالمؤرخ المعاصر وليم الصورى يــصفه بــالأمير الطاغيــه ،

والشرس ، وصاحب التصرفات الطائشه ، ويصف كثيــراً مــن تــصرفاته بالمشينة ، وانه لم يكن يتورع عن مهاجمة الأديرة ، وإغتــصاب الراهبــات العذارى الصغيرات ، إغتصاباً مخجلاً ، كما يذكر انه كان كثيراً مايشذ عــن إجماع الأمراء ، ويثير المشاكل بينهم ، وانه كان مطبوعاً على الإندفاع فــي الخطايا[١٧]. ويشير المؤرخ بلدوين إلى إنحطاط رينو دي شــاتيون خلقيــاً ، وطيشه سياسياً، وإنه كان فارساً خطراً لايمكن ضبطه[١٨].فيما يرى جروسيه أن أمارة أنطاكية حصلت على محاربٍ قوي ، وفارس صليبي قام بدور هام وبارز في محاربة المسلمين ببلاد الشام ، ولكن للأسف كان مغامراً خطيراً ، إتصف كثيراً من تصرفاته بالطيش والتهور وعدم مراعاة العهــود والجهــل بأحكام السياسة وأصولها ، مما سبب متاعب لاحد لها للصليبيين بالــشام[١٩]. ويصفه المؤرخ الأوربي كنج بقوله "رينو دي شاتيون نموذج للفارس اللــص في عصره ، إتصف بالجشع وعدم الوفاء والغــدر والوحــشية والتعــصب الأعمى" [٢٠].

ويشبهه المؤرخ هارولد لامب بالذئب فيذكر أن قلعة الكرك كانت تؤى ذئباً دعاه العرب أرناط[٢١]، وتصفه كارين أرمسترونج بأنه أحــد الــصقور الذين شهدتهم الحروب الصليبية ، وأنه التجسيد الحــي للمتطــرفين الــدينيين الذين تشهدهم دولة إسرائيل حالياً[٢٢].

ولاتختلف نظرة المؤرخين العرب عن تلك التي رسمها الغربيون له ، فإبن الأثير يقول عنه "كان البرنس أرناط ، صاحب الكــرك ، مــن أعظــم الفرنج وأخبثهم ، وأشدهم عداوة للمسلمين ، وأعظمهم ضرراً عليهم [٢٣]، كما يصفه أبو شامه بأنه " كان أغدر الفرنجيه وأخبثها ، وأفحصها عــن الــردى

والرداءة ، وأنقضها للمواثيق المحكمة والأيمان المبرمة وأنكثهـا وأحنثهـا "
(٢٤)

بروز أرناط على مسرح الأحداث في بلاد الشام

أتاحت الأحداث والصراعات التي شهدتها المنطقة في أعقـاب فـشل الحملة الصليبية الثانية لأرناط وغيره من المغامرين البروز والظهور علـى مسرح الأحداث ، وقد تقلب أرناط في ولاءاتـه بـين عـدد مـن الزعمـاء والأمراء، وكان خلال ذلك يبحث لنفسه عن دور مميز ، وكانت قمـة هـذا البروز حين بدأ يخطط للزواج من الأرملة الحسناء كونستانس Constans ، أرملة ريموند دي بواتيه والوصية على عرش إبنها الصغير بوهيموند الثالث على أنطاكية(٢٥).

فبعد وفاة ريموند دي بواتيه أمير أنطاكية أخذت الضغوط تتزايد علـى كونستانس من بلدوين الثالث ملك بيت المقدس للإقتران بزوج يستطيع الحفاظ على الأمارة الهامة للصليبيين وليستطيع تسيير أمورها والتصدي لمحـاولات السلاجقة إستعادة الأمارة ، ولكن كونستانس كانت تتمنع لأن ذلك كان يعنـي ضياع سلطانها ونفوذها وحرمانها من الـسيطرة علـى الأمـارة الهامـة ، وفضلت أن تضل قابضة على زمام الأمور في أنطاكية، ورفـضت الـزواج من مرشح الملك بلدوين ايميري دي ليموج Emery بطريق الأمارة ، كمـا أنها رفضت الزواج من أحد الأمراء البيزنطيين، وهو حنا روجـر، شـقيق زوجة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين ، والذي أقترحـه الإمبراطـور البيزنطي، والذي حضر إلى أنطاكية لهذا الغرض(٢٦).

ولكن كونستانس - خروجاً من هذه الضغوط - فاجـأت الجميـع ، بإعلان زواجها من رينو دي شاتيون (أرناط) ذلك المغامر الصليبي الطائش الذي لم يكن أحد يتوقع إختياره زوجاً لها[٢٧]. ولم يجد ملك بيت المقدس مفراً مـن الموافقـة علـى هـذا الـزواج ، والـذي أجريـت مراسـمه سـنة ١١٥٣م/٥٤٨هـ، بعد إلحاح شديد من رينو دي شاتيون وكونستانس [٢٨].

وكان أول مافعله أرناط - تأكيداً لطيشه وقسوته- أن القى القبض على ايمرى دي ليموج - بطريق الأمارة – وأنزل به أشد العذاب ، لأنـه سـبق وتجرأ على التقدم بطلب الزواج من كونستانس ، حيث ربط البطريق علـى جذع شجرة بعد أن وضع على رأسه مقداراً من العسل ، ثم تركه في حرارة الشمس المحرقه يتألم من لذعات الذباب والحشرات ، ولم ينقذه سـوى ملـك بيت المقدس الذي ارسل إلى أرناط يطالب بإطلاق سراحه[٢٩].

مغامرات أرناط في المنطقة

بعد أن شعر أرناط أنه أصبح بموجب هذا الزواج أميراً علـى واحـدة من أهم الأمارات الصليبية في بلاد الشام وهي أمارة أنطاكية ، بـدأ يتحـرك لتوسيع دائرة نفوذه خارج أمارته ، فقام ببعض التحركات على حساب القوى المحلية ، ولكن معظمها كان فاشلاً ، وكان من هذه التحركـات قيامـه سـنة ١١٥٧م (٥٥٢هـ) في أعقاب الزلزال الكبير الذي ضرب المنطقة ، بالتوجه نحو مدينة شيزر[٣٠] ، ومهاجمتها بغرض الإستيلاء عليها ، ولكن هذا الهجوم فشل ، بسبب مقاومة أهلها ، ولخلاف الصليبيين ونزاعهم حول الى من يؤول حكمها - بعد الإستيلاء عليها - فقد كان ملك بيت المقدس بلدوين الثـاني ،

عزوفاً منه عن أرناط ، يرى أن يحكمها ديتريخ Dietrich زوج أخته سيبل Sybil ، وأدى هذا التنافس الى فشلهم في إقتحامها ، وإن لم تسلم من نهــبهم وقتلهم للعديد من سكانها(٣١).

وكانت مغامرته الأكبر والأخــطر هي قيامه سنة ١١٥٦م (٥٥١هــ) بالتحالف مع ثورورس الثاني Thourus II أحد أمراء الأرمن(٣٢). وإتفاقهما على مهاجمة جزيرة قبرص ، والتي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطيــة ، وكان الإمبراطــور البيزنطــي مانويــل كــومنين (١١٤٣-١١٨٠م/٥٣٨-٥٧٦هــ) بعد أن ضج من تحركات ثورورس الثاني في أرمينيا ومهاجمتــه للأملاك البيزنطيه ، ورغبة في الحد من نفــوذه وإعتداءاتــه علــى الــسيادة البيزنطية ، قد كتب الى رينــو دي شــاتيون "أرنــاط" يطالبــه بالتــصدي لثورورس ، وقد وعده بمكافأة كبيرة إذا نجح في هذه المهمة(٣٣).

وقد إستجاب أرناط لطلب الإمبراطور البيزنطي وجهز جيشاً سار بــه إلى قليقيا ، حيث إستطاع هزيمة ثورورس وقمعه ، ودمر جيشه بالكامل(٣٤).

وأخذ أرناط ينتظر المكافأة التي وعده بها الإمبراطــور البيزنطــي ، ولكن يبدو أن الإمبراطور قد تأخر في الوفاء بوعده لأرناط ، ولشدة قلقــه ، فقد إستاء من هذا التأخير، والتجاهل مــن الإمبراطــور ، وقــرر أن ينــتقم منه(٣٥).

قرر أرناط أن يتحالف مع الغريم الذي ذهب لمقاتلته وسبق أن هزمه ، حيث عقد إتفاقاً مع ثورورس الثاني لمهاجمة جزيرة قبرص ، وهي أحــدى الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية ، وإحدى نقاط إرتكازها في البحــر المتوسط وكانت تتمتع بثراء لابأس به ، وقام الحليفان بمهاجمتها ، وهزيمــة

قوات الحماية بها ، وأخذا يطوفان في أنحاء الجزيرة ينهبان ويسلبان ، ويحرقان المدن والقلاع ، ويذكر وليم الصوري أنهما لم يتورعا عن مهاجمة الكنائس والأديرة ، وقاموا بتقطيع أيدي وأرجل بعض القساوسه ورجال الاكليروس ، وبتروا أنوف وأذان البعض الآخر ، ولم تنج الراهبات و العذارى من إساءاتهم[٣٦]. ويضيف وليم الصوري في وصف هذا الهجوم المشترك : "لقد إستولى رينو دي شاتيون على كميات كبيرة من الذهب والفضة والأثواب والملابس الفاخرة، ومع ذلك فإن تلك الخسارة لاتعتبر شيئاً إذا قورنت بالعنف الذي سلكه ضد العفه والطهارة[٣٧].

وبعد عدة أيام من الأعمال الحربية في جزيرة قبرص ، وماتخللها من النهب والسلب والقتل والبطش شحنت السفن التابعة لأرناط ، والتي كانت ترسو على شاطئ البحر ، بكميات كبيرة من الثروات والغنائم من شتى الأنواع ، إستعداداً للإبحار بها نحو أنطاكية[٣٨].

وأثار هذا التصرف العدواني من قِبل أرناط وثورورس الثاني كلاً من الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين ، وبلدوين الثالث ملك بيت المقدس ، وقد حاول ملك بيت المقدس أن ينأي بنفسه عن هذا التصرف الذي أقدم عليه أرناط ، وسارع إلى بعث سفارة إلى القسطنطينية في صيف سنة ١١٥٧م/٥٥٢هـ ، تقدم توضيحات عن موقف ملك بيت المقدس من هذه التصرفات ، وتعرض زواج الملك بلدوين من الأميرة ثيودورا Theodora ، إبنة أخت الإمبراطور البيزنطي ، وهو ماتم فعلاً في سبتمبر من ذلك العام[٣٩] ، ولا يستبعد أن تكون السفارة قد ناقشت أيضاً سبل الإنتقام من تصرف أرناط وثورورس الثاني.

وجاء رد فعل الإمبراطور سريعاً ففي صيف سنة ١١٥٨م/٥٥٢هـ خرج الإمبراطور على رأس جيش كبير لغزو أرمينيا وإستردادها من ثورورس ومعاقبه أرناط.

وما أن علم ثورورس بمقدم جيش الإمبراطور بهذا العدد الكبير من الرجال والعتاد ، حتى قرر الفرار الى الجبال العالية ، وفتحت قليقيا أمام جيش الإمبراطور البيزنطي حيث سقطت المدينة والقلعة تلو الآخرى ، ثم إتخذ من مدينة المصيصه[٤٠] مقراً له ، ومنها أرسل إلى أرناط في أنطاكية يطلب مثوله أمامه ، ليحاسبه على مافعله في قبرص[٤١].

وفزع أرناط من دعوة الإمبراطور ، وحاول الإستنجاد ببلدوين ، والذي لم يكن أقل غضباً وإستياءاً من الإمبراطور البيزنطي ، ولذلك رفض أن يقدم له أي دعم.

وأخيراً ، لم يجد أرناط ، إستجابه لرأي مستشاريه وأصدقائه المقربين، سوى الإنصياع لدعوة الإمبراطور والمثول بين يديه[٤٢].

وتسهب المراجع التاريخية في وصف حالة أرناط عند مثوله أمام الإمبراطور ، فتذكر أن أرناط كان حاسر الرأس ، حافى القدمين ، وكان يرتدي ثوباً قصيراً حتى مرفقيه ، وممتد حول رقبته ، وعندما وجد نفسه أمام الإمبراطور وجهاً لوجه ، إرتمى على الأرض وأخذ يزحف حتى وصل إلى قدمي الإمبراطور ، ثم إنحنى ورفع سيفه الى أعلى ليناوله الإمبراطور من مقبضه ، وطلب منه العفو والغفران في ذلة وخضوع ودرجة كبيرة من المهانة والإذلال[٤٣].

وإنتهى ذلك المشهد المخزى بعفو الإمبراطور عن أرناط بعد أن وافق على عدة شروط منها: أن يعترف أرناط بسيادة الإمبراطورية البيزنطية على أمارة أنطاكية ، وأن يتعهد بتسليمها وتسليم قلعتها فوراً ، إذا طلب منه ذلك ، وأن يقدم فرقة من محاربي أنطاكية للعمل في الجيش البيزنطي ، وأن يقوم بعزل بطريق أنطاكية الكاثوليكي، ويعين بطريرقاً ارثودوكسياً[٤٤]. وبعد أن تعهد بتنفيذ هذه الشروط سمح له بالعودة إلى أنطاكية ، ولاشك أن هذا الموقف المهين لأرناط ، وهذه التعهدات ، قد أشعرت الفرنج الذين حضروا هذا اللقاء ، بالحرج والضيق ، وشعروا بالخزي والعار من تصرفات أرناط[٤٥].

ولكن هذا الموقف وهذه التعهدات التي أملاها الإمبراطور البيزنطي وهو في موقف القوة ، وتقبلها أرناط خاضعاً ، وهو في موقف الضعف ، لم يكتب لها أن تنفذ ، ليس بسبب أن أرناط سرعان ما وقع في أسر المسلمين ، ولكن لأن كل التعهدات التي كان يبادر اللاتين الى بذلها للإمبراطور البيزنطي في أوقات الضعف سرعان ماتتبدل وتحمل محلها المواقف المضاده، بسبب العداء المستحكم بين الصليبيين والبيزنطيين ، منذ الحملة الصليبية الأولى ، بل ومنذ وقت مبكر ، وما أشبه هذا الموقف بين الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين وبين أرناط ، مع ذلك الذي حدث بين الإمبراطور الكسيوس كومنين وبين بوهيموند الأول ، أول الأمراء الصليبيين على أنطاكية[٤٦].

ولكن الغريب أن بلدوين الثالث ملك بيت المقدس ، الذي رفض أن يشفع لأرناط لدى الإمبراطور البيزنطي ، قام عند زيارته للإمبراطور في المصيصه بعرض شفاعته لثورورس الأرمني أمير قليقيا ، إذ ألح على

الإمبراطور في العفو عنه ، وأخيراً قبل الإمبراطور ذلك بشرط أن يحـافظ ثورورس على تبعيته للإمبراطورية البيزنطية(٤٧).

فهل كان ملك بيت المقدس يشعر أن تصرفات أرناط فـي قبـرص ، وهو اللاتيني مثله ، قد اشعرته هو شخصياً بالسخط والمذله والحـرج أمـام المسيحين وأمام الإمبراطور البيزنطي؟! ام أن بلدوين الثالث كان يعاني مـن المشاكل التي كان يخلقها أرناط بسبب تصرفاته وحنقه وخاصـة أن زواجـه من وريثة أنطاكية ، وبالتالي بروزه وأمارته لأنطاكية كانت ضد رغبته؟! ام أن الرعونه التي كان يتصرف بها أرناط ومايمكن أن تجره مـستقبلاً كانـت وراء رفض ملك بيت المقدس التوسط له؟!

لعل كل ذلك وغيره من الأسباب ، كانت وراء رفض بلدوين التوسـط لأرناط عند الإمبراطور البيزنطي ، ولكنه عندما رأى عفو الإمبراطور عـن أرناط ، لم يبخل بشفاعته لثورورس لدى الإمبراطور.

ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين أراد أن يظهر ويؤكـد للملأ الصليبي سيادته على أمارة أنطاكية ، فقد قرر أن يقوم بزيارة رسـمية لها في أبريل سنة ١١٥٩م/٥٥٤هـ ، حيث دخلها في موكب ضخم ، وشكل مهيب وسط الزينات والشعارات والبيارق المرفوعه في كل مكان ، ووسـط الأبواق والأناشيد والطبول والهتافات الصادرة من جيـشه ومـن الجمـاهير المحتشدة، ولمزيد من التأكيد على هذه السيادة سار رينو دي شاتيون (أرناط) أمير أنطاكية ممسكاً بخطام فرس الإمبراطـور ، وبجـواره بقيـه الأمـراء اللاتين، كما لحق بهم ملك بيت المقدس(٤٨).

وإستمرت زيارة الإمبراطور البيزنطي لأنطاكية ثمانية أيـــام ، وســـط مظاهر الفخامة والأبهة البيزنطية والتبجيل والاحترام والحفاوة مـــن أمـــراء أنطاكية وشعبها[٤٩].

أسر أرناط وإيداعه قلعة حلب

عاد أرناط الى تحركاته ومغامراتـــه فقـــام فـــي ١١٦٠م/٥٥٥هـــــ ، بمهاجمة عدد من المراعي في الجزيرة الفراتية ، حيث أراد الإستيلاء علـــى قطعان الماشية والأغنام التي كانت تملأ المنطقة ، وبدون أي مقاومة تمكـــن أرناط من الإستيلاء على هذه الأغنام وسلبها ، وفي طريق عودته بمسروقاته إلى أمارته فاجأه مجد الدين أبوبكر إبن الدايه ، حاكم حلب ، ودارت معركـــة حاميه بين الطرفين ، هُزم فيها الفرنج ولاذ عدد كبير منهم بـــالفرار ، إلا أن أرناط والذي رفض أن يتخفف من أسلابه مما أثقل حركته وجعلته يقـــع فـــي أسر جنود حلب الذين قيدوه بالسلاسل وقادوه الى سجن حلـــب ، مـــع بقيـــه الاسرى ، في منظر يصفه وليم الصوري بأنه كان فاضحاً[٥٠].

والغريب أنه خلال فترة أسره الطويلة لم تبذل أي محاولـــة لجمـــع أي مبلغ من المال لافتدائه - كما جرت العاده - وإخراجه من السجن ، بـــل أن بلدوين الثالث وأهل أنطاكية ، والإمبراطور البيزنطي ، لم يقوموا بأي جهـــد في هذا السبيل ، وقضى في أسرة مدة يقدرها البعض بخمسة عشر عامـــاً ، والبعض الآخر بسبعة عشر عاماً متواصله[٥١].

ولايوجد تفسير لبقائه هذه الفترة الطويلة فـــي الاســـر دون أن يبـــذل الصليبيون أو البيزنطيون أو أصدقائه وحلفائه من الأمراء اللاتين أي محاولة

لإطلاق سراحه ، إلا أنه كان مكروهاً من الجميع وبالــذات مــن المعــسكر الصليبي ، وبالأخص من أصحاب الحكم وسكان أنطاكية ، وكان في بقائه في الأسر لدى المسلمين فائدة للبعض ، ومصلحة وراحة للبعض الآخر.

وكل الذي قام به بلدوين الثالث ملك بيــت المقــدس للمحافظــة علــى الأوضاع في أنطاكية في أعقاب أسر أرناط، أن إستجاب لإلتماسات بارونات أنطاكية الذين لجأوا إليه[٥٢] ، وعمل على المحافظة علــى حقــوق بهيمونــد الثالث في الحكم الى أن يبلغ سن الرشد - وكان حينها في السادسة عشرة من عمره – وقرر أن يعيد البطريق إيمرى الذي سبق أن لقــى الأمــرين مــن أرناط، إلى أنطاكية ليساند بوهيموند الثالث في الحكم، وكان هذا القرار محل غضب كونستانس ، والإمبراطور البيزنطي معاً.

ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين ، أراد أن يدعم مطالب كونستانس بحل عملي ، فقرر سنة ١١٦١م /٥٥٦هـ الزواج من ماريا إبنــة كونستانس[٥٣] ، ولكن الدعم لم يجد التأييد من بارونات أنطاكية فقاموا ســنة ١١٦٣م/٥٥٨هـ بطرد كونستانس من أنطاكية وتنــصيب إبنهــا بوهيمونــد الثالث حاكماً عليهم[٥٤].

أرناط يعود للظهور أميراً على الكرك

إستفاد أرناط من التطورات التي كانت حاصلة في المعسكر الإسلامي، ففى أعقاب وفاة نور الدين محمود بــن زنكــي ســنة ٥٧٠هـــ/١١٧٤م ، وإختلاف ورثته على توزيع دولته الواسعه ، تراجع الخطــر الأكبــر علــى الصليبيين ، وشهدت المنطقة عدة صراعات بين هؤلاء الورثة مــن أمــراء

البيت النوري ، وإستفاد الصليبيون من هذا التنازع وبدأوا يعملون على توسيع ممتلكاتهم على حساب الأمراء المتنازعين ، فدخلوا في حروب مع بعضهم ، وعقدوا إتفاقيات مع البعض الآخر.

على جانب آخر كان هناك صلاح الدين الأيوبي[٥٥] في مصر ، يرقب الأوضاع في بلاد الشام ، ويخطط للإستفادة منها في توسيع دولته ، وتحقيق الوحدة الأسلامية مجدداً حتى يستطيع تكوين جبهة واحدة بين الشام ومصر للتصدي للمخططات الصليبية.

وإستجاب صلاح الدين الأيوبي للدعوة التي وصلته من شمس الدين بن عبدالملك بن المقدم - وكان أحد الرجال المهمين في دمشق - والذي رأى في دعوة صلاح الدين لتسليمه دمشق ، الحل الأخير بعد أن فشل في إقناع سيف الدين غازي - صاحب الموصل - من النهوض الى دمشق وتسلمها[٥٦]. وخرج صلاح الدين إلى دمشق يرافقه سبعمائه فارس فوصلها سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، دون أن يصطدم بالصليبيين وملكها -كما يقول المؤرخون - دون مدافع وبلا ضربه ولاطعنه[٥٧].

ومن هناك بدأ صلاح الدين في التوسع ، وإلتقى في عدة جولات مع الأمراء المناوئين له من الزنكيين الذين حاولوا الإستعانه بالصليبيين ، ودخل بعضهم في تحالفات معهم ضد صلاح الدين[٥٨].

والآن نعود إلى إستفادة أرناط - الذي كان يقبع أسيراً في قلعة حلب - من هذه الأحداث، فعند محاصرة صلاح الدين لقلعة حلب سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م قام حاكمها سعد الدين كمشتكين[٥٩] ، بطلب المساعدة من

الصليبيين ، حيث بادر ريموند الثالث - صاحب طرابلس - لنجدته ، وأنقـذ حلب من الوقوع في يد صلاح الدين(٦٠).

ولكي يعبر كمشتكين عن تقديره وإمتنانه للمساعدة الصليبية وإعترافـه بالجميل ، قام في أعقاب ذلك بإطلاق سرح عدد من الأسرى ، وكـان مـن بينهم أمير أنطاكية الأسير رينو دي شاتيون "أرناط"(٦١).

وسارع أرناط بعد خروجه من السجن إلى أنطاكية ، مركـز أمارتـه السابقة يحدوه الأمل لإستعادة أمارته ونفوذه ولكنه وجد أن الامور قد تغيرت بها ،فزوجته كونستانس قد توفيت ، وإبنها بوهيموند الثالـث - الـذي كـان صغيراً - قد أصبح حاكمها ، ووجد نفسه غير مرحب به في أنطاكيـة ، ولا مكان له في قصر حكمها ولا لدى حاكمها الجديد.

وبحكم روحه القلقه ، وطموحه الذي لاينتهي وجد أن أفـضل مكـان يتجه إليه في هذا الوقت هو بيت المقدس ، والتي كانت تمر بظـروف مـن التنازع والصراع من أجل الوصاية والحكم، وبحكم نزعته القلقه وجد نفـسه في خضم الصراع ، بعد أن تلقفه رجال البلاط ، وأصـبح زعيمـاً للحـزب المتطرف ، والذي يتشكل في معظمه من أولئك الفرنج الذين جاؤوا من أجـل مكاسبهم الخاصة ، وسبيلهم كان التطرف في التصرفات والأفعال من أجـل تحقيق مصالح ضيقه ومكاسب خاصة(٦٢).

وشعر الملك بلدوين الثالث بخطورة بقاء أرناط في بيت المقدس ، فأخذ يتدبر السبيل لإبعاده ، وجاءته الفرصة حين طلب أرناط ، دعمه في الـزواج من اتينيت دي ميلي Etiennette de milly وريثة الاردن وصاحبة حصن الكرك والشوبك ، حيث تم الزواج في سنة ١١٧٧م/٥٧٢هـ (٦٣). وبموجب

هذا الزواج أسندت إليه أمارة الكرك[٦٤].ومن هناك سيستعيد أرنـــاط نـــشاطه ومغامراته التي إشتهر بها ، وسيبدأ هجماته على جيرانه سواء من المـــسلمين أو المسيحين ، وسيصبح من جديد مصدر قلق وإضرار للجميع.

ومنذ الأيام الأولى للتواجد الصليبي في فلسطين وبلاد الشام ، شـــكلت أمارة الكرك ومعها حصن الشوبك ، أهمية كبيرة للوجود الصليبي سواء فـــي النواحي الإقتصادية أو العسكرية ، فقد كانت أمارة الكرك خط الدفاع الأول ، والسد المنيع الذي يحمي الجبهة الصليبية من الجهة الشرقية والجنوبية ،كمـــا كان لها أهمية إستراتيجية وموقع "حاكم" بين الشام ومصر والحجاز ، وكانت تتحكم أيضاً بطرق القوافل التجارية ، وتتحصل على رسوم وضرائب كثيرة، كما أنها توفر لها المحاصيل الكثيرة والغلات الوفيرة.

وكان المسلمون يشعرون بالأهمية والخطورة التي تشكلها أمارة الكرك الصليبية ولذلك تعددت المحاولات التي بذلت لمهاجمتها وإستخلاصها من يـــد الصليبيين ، وبدأت هذه المحاولات مبكراً منذ عام ٥٦٥هـــ/١١٧٠م في عهد نور الدين محمود ، وإستمرت حتى عام ٥٨٣هـــ/١١٨٧م في عهد صـــلاح الدين الأيوبي[٦٥].

على الجانب الأخر كان حصن الكرك بموقعه المتميـــز ، وإمكانياتـــه العسكرية الحصينه ، حافزاً لأرناط لأن ينشط في مغامراتـــه ، وأن يـــذهب بعيداً في التخطيط والإقدام عليها ، والتوسع فيها بشكل ربما فاق ذلك الـــذي كان يتيحه له الوضع في أنطاكية ، كما أن موقعه الجديد في الكرك أتاح لـــه مزيداً من التأثير والتوجيه لقرارات الصليبيين ومواقفهم وتحركاتهم.

وكل ذلك شكل ضغطاً على المسليمن ، وتهديـداً وعرقلـة لمـشروع صلاح الدين الأيوبي لتحصين الوحدة الإسلامية ، والتصدي للوجود الصليبي في بلاد الشام وفلسطين ، وتهديداً للتواصل مع مصر ، وللقوافل المتنقله بين الجزأين ، بل وجعل أرناط يتطلع إلى توسيع النفوذ والتواجد الـصليبي الـى البحر الأحمر وتهديد مدنه وتجارته.

مشروع أرناط لغزو الحجاز

بعد أن تعددت الضربات التي كالها صلاح الدين الأيوبي لأرناط فـي حصنى الكرك والشوبك ، فكر أرناط أن يصيب المسلمين فـي مقتـل ، وأن يحقق مشروعاً كبيراً طالما حلم به ، ورأى أن ذلك المشروع يحقق له عـدة نتائج عسكرية وإستراتيجية وإقتصادية، وكان هذا المـشروع يـتلخص فـي توسيع دائرة الصراع بين الصليبيين والمـسلمين ، ليـشمل منطقـة البحـر الأحمر، ومن هناك مهاجمته أقدس بقعتين لدى المـسلمين وهمـا الحرمـان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وقد فطن القادة والمؤرخون المسلمون إلى الأهـداف الحقيقيـة لهـذا المشروع الصليبي حيث أورد المؤرخان أبو شامة وإبـن واصـل رسـالة للقاضي الفاضل يتحدث فيها عن أهداف ذلك الغزو، وأن الفرنج أرادوا مـن ورائه تحقيق هدفين خطيرين ، أولهما قطع طريـق الحجـاج إلـى مكـة ، وضرب العالم الإسلامي في قلبه ، وطعن المسلمين في قبلـتهم ، وثانيهمـا : أن الصليبيين كانوا يزمعون الإستيلاء على عدن في جنوب البحـر الأحمـر لأخذ تجار اليمن ، واكارم عدن ، وبذلك يتمكنون - بفضل الـسيطرة علـى

إيلة في الشمال وعدن في الجنوب - من إغلاق البحر الأحمر في وجه أعدائهم وإحتكار تجارة الشرق والمحيط الهندي[٦٦].

بينما حدد المؤرخون الغربيون أن هدف هذا المشروع كان التحكم في حركة المرور الدولية بين آسيا ومصر عن طريق باب المندب[٦٧]، فيما ذهب البعض الآخر منهم الى التقليل من أهداف هذا الغزو وأنها تتمثل في النهب فقط[٦٨] ، وفي الضغط على صلاح الدين ليخفف من غاراته على مدن بلاد الشام وفلسطين ، وحرمانه من الأموال الطائله التي تدرها تجارة البحر الأحمر مع أوروبا، وهي التي تعينه على مواصلة نضاله ضد الصليبيين[٦٩].

كما أن بعض هؤلاء المؤرخين لم يغفلوا الإشارة إلى هدف خطير إنطوت عليه محاولة أرناط، وهو هدم الكعبة المشرفة ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم الإستيلاء على جثمانه الشريف[٧٠] ، ونقله الى أمارة الكرك ، حيث يرى إبن جبير أن أرناط كان يهدف الى عدم السماح للمسلمين بزيارته ،إلا بعد دفع مبلغ كبير يفرضه هو بنفسه[٧١].

وأياً كانت الأهداف التي خطط أو هدف لها أرناط من وراء حملته في البحر الأحمر وصولاً إلى منطقة الحجاز ، فإن هذه العملية شكلت خطورة كبيرة على المسلمين ، وعلى الوجود الإسلامي ، وعلى الصراع بين المعسكرين الإسلامي والصليبي ، وكذلك أعطت نموذجاً حياً على مغامرات أرناط وجرأته ، التي لم يسبقه إليها أحد من الصليبيين.

كانت الخطوة الأولى لحملة أرناط هي قيامه في شتاء سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م بالتحرك على رأس جيش كبير نحو جنوب حصن الكرك[٧٢] ، وكان إختياره لفصل الشتاء حتى يحمي قواته من حرارة

الصيف، إلا أن الحملة فشلت فشلاً ذريعاً ، بسبب طـول المـسافة وتعرقـل الإمدادات والمؤن عن جنده ، والأهم من ذلك تنبه المسلمين الى هذا التحـرك فتصدوا له مبكراً ، حيث قام عز الدين فروخ شاه ، نائب صلاح الدين علـى دمشق ، بتحرك سريع ، فقصد أمارة الكرك وبدأ محاصرتها ، وعندما علـم أرناط بذلك ، عاد مسرعاً إليها قبل أن تقع في ايدي المسلمين ، وهكذا فشلت الحملة ، وكل ماحققته هو مهاجمة إحدى القوافـل التجاريـه بـالقرب مـن تيماء(٧٣). إلا أن هذه الحملة أتاحت له التعرف على طبيعة البلاد التـي مـر بها، والمصاعب التي يمكن أن تواجهه.

وأتبع ذلك بتحرك آخر ، حيث قام بمهاجمة المناطق المجاورة للكرك ، وكان يهدف إلى الإستيلاء على مدينه إيلة(٧٤) ، والتـي سـبق أن إسـتعادها صلاح الدين الأيوبي، ولكن حاميتها إستبسلت في الدفاع عنها ، فلم يـستطيع أن ينال منها(٧٥).

أتاحت له هذه التحركات الإستكشافيه أن يستكمل مخططه ، ويوفر لـه جميع عوامل النجاح ، كما تصور ، وتطورت لديه فكـرة المهاجمـة عـن طريق البحر ، بعد أن فشلت محاولته البريه ، وجهز أرناط كميات كبيرة من الأخشاب ، والتي أمدته بها غابات الكرك ، كما أستدعى أمهر الصناع مـن مختلف مدن الشام التي تحت سيطرة الصليبيين ، وبدأو في صناعة مراكـب منفصله ، وقام بتجربه أجزاء منها في البحر الميت ليتأكد من سلامتها ، ثـم أعاد فصلها مرة آخرى(٧٦) ، وحملها على الجمال التي استأجرها من العرب المجاورين ، حيث نقلت إلى خليج العقبه ، وأعاد الصناع تركيبها وإعـدادها للإبحار(٧٧).

وتذكر المراجع أن عدد الجنود الذين أستقلوا هذه السفن والتي كانــت تسمى بـــ "الغربان" بلغوا أكثر من ١٥٠٠ مقاتل(٧٨). حيث ابحروا في خريف ٥٧٨هـــ/١١٨٢م ، وكان هدفهم إيلة ، والتي تمكنوا من الإستيلاء عليها(٧٩) ، ثم قاموا بمهاجمة جزيرة فرعون ، والتي تعتبر مفتاح خليج العقبه ، ولكـــنهم فشلوا في تحقيق هدفهم ، بسبب البسالة والمقاومه التي أبـــداها أهلهـــا ، ولأن أرناط كان لايريد إضاعة وقته في محاصرتها ، قـــرر أن يتـــرك ســـفينتين لمحاصرتها ومناوشه أهلها ومنع المياة والمؤن عنهم حتى يستسلموا(٨٠).

ومن إيلة قرر أرناط أن يطور خطته العسكريه ، وأمر أن تسير فرقه من جيشه براً وبمحاذاة الساحل وتكون وجهتها مدينة تبوك ، للتـــصدي لأي قوة إسلامية تأتي من البر وتحاول قطع طريقه.

ومن هناك وإستباقاً لأي تحرك إسلامي ، قرر أن يتوغل فـــي البحـــر الأحمر بعد أن إنحرف الى الساحل المصري ، فواصل إبحاره جنوباً ، دون أن يتعرض لأي مقاومه حتى وصل إلى شواطئ ميناء عيـــذاب (٨١) ، وقـــام جيشه هناك بإحداث محرقه للسفن الراسيه على الشاطئ ، حيث إستولوا على تسعة عشر مركباً ، وقاموا بنهبها وأشعلوا فيها النيران(٨٢). وقـــاموا بعمليـــه قرصنة رهيبة حيث إستولوا على مركب كان يقل حجاجاً قاصدين جده ، كما إستولوا على عدد من السفن القادمه من الهند واليمن(٨٣).

وأثارت هذه الأحداث الرعب لدى سكان مدينة عيذاب ، والـــذين لـــم يسبق لهم رؤية أمثال هذه الـــسفن الفرنجيـــه ، وأمثـــال هـــؤلاء القـــوم أو المحاربين(٨٤). وإزداد رعبهم وخوفهم عندما نزل أرناط بقواته إلى البر وبدأ

في نهب الدور وقتل الرجال ونهب المؤن، وأحدث هناك مذبحه لم تسلم منها قوافل الحجاج ، أو أبناء المدينة[٨٥].

ومن عيذاب قرر أرناط في جرأة عجيبه أن يتوجه إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وفي طريق إنتقاله للساحل الشرقي لم تسلم السفن التجارية من إعتداءته ونهبه، وأخيراً وصلوا إلى رابغ على ساحل البحر الأحمر ، ومنها إنتقلوا إلى الحوراء حيث قرر أرناط أن يبقى بعض جنوده فيها ، وأن ينتقل بجزء منهم لمهاجمة المدينة المنورة[٨٦].

قضيتان هامتان : الأعراب وعيون صلاح الدين

وقبل أن نواصل تتبع مغامرة أرناط والنتائج التي إنتهت إليها نجد لزاماً أن نتوقف لمناقشة قضيتين هامتين برزتا خلال هذا الدور من المغامرة، وكان لهما دور هما في تطور الأحداث وتصاعدها على هذه الوتيرة.

النقطة الأولى هي المساعدات المحليه التي تلقاها أرناط ، من البدو والقراصنة المحليون والتي أعانته على المضى في مغامرته ، وتحقيق النجاح في هذا الدور ، فيذكر المؤرخون أن أرناط قد إستفاد كثيراً من هذا الدعم المحلي ، ومن بعض الخيانات التي قدمها البدو منذ البداية ، فمثلاً هناك إجماع على أن أرناط قام بنقل سفنه من الكرك إلى خليج العقبه على ظهور الجمال التي حصل عليها بـ "الكراء"[٨٧] من البدو القاطنين هناك ، ويصف أحد المؤرخين هؤلاء بأنهم كانوا أصدقاء متنكرين[٨٨] ؟! فتنكرهم يدل على أنهم كانوا من غير جنس الصليبيين ، ولايريدون أن يتعرف أحد على

شخصياتهم ؟! وهناك من يؤكد أن هؤلاء البدو قد لعبوا هـذا الـدور مقابـل رشوة كبيرة قدمها أرناط لهم(٨٩).

وبطبيعة الحال فالأمر قد لايبدو مستغرباً كثيراً ، فأمثال هؤلاء الخونه الذين يعينون الأعداء مقابل ، أموال ورشى يتواجدون دائماً في كل الحروب، وفي كل أنحاء العالم ، وفي كل مراحل التاريخ ، سواء أولئك الذين يؤجرون جهودهم أو يعطون ولاءهم ، وحفلت حقبة الحروب الصليبية بـالكثير مـن هؤلاء ، وأحياناً يكونون من الناس العاديين المغامرين أو الخـارجين عـن القانون والراغبين في الكسب السريع ، وأحياناً يكونون زعامـات معروفـه معادية لهذا النظام أو ذاك ، ولها مصالح مالية أو سياسية لتقديم العون لهؤلاء الأعداء.

كما أن أرناط حظى ببعض المساعدة من القراصنة المحليين ، فقد قـام بعض هؤلاء من القراصنه بالعمل أدلاء له في البحر ، ودلـوه علـى سـفن المسلمين وكانوا في مقدمة سفنه بعد أن غادر جزيرة فرعون متوجهـاً إلـى مدينة عيذاب ، فالصليبيون لم يكن لهم سابق معرفه بموانئ البحـر الأحمـر وإنما هؤلاء القراصنة هم الذين كانوا يسيرون هذه السفن(٩٠) ، وكانوا معهـم كادلاء على موانئ الحجاز لإستكمال الغزوة.

ويذكر المؤرخ أبو شامه إن هؤلاء الخونـه كـانوا مـن الأعـراب ، ويصدر حكمه عليهم بترديده "من الأعراب من هو أشد كفراً ونفاقاً"(٩١).

وليس الأعراب فقط الذين لعبوا أدواراً مثل هذه ، وكما قلنا فإن حقبـة الحروب الصليبية، وجولاتها المتعددة ، شهدت الكثير من أمثال هؤلاء الـذين

عملوا مع الصليبيين ، مدفوعين بأطماعهم ، أو وراء مصالح يحققهـا لهـم التعاون مع العدو.

والنقطة الثانية التي تستحق الوقوف والمناقشة هي : أين كان صـلاح الدين وأين كان وكلاءه وحكامه على هذه الأقاليم التي شهدت بداية الغزوة أو كانت ضحية لها؟! وأين كانت عيونه وجواسيسه الذين يفتـرض أن ينـشطوا في أوقات الحروب وأوقات الأزمات ؟! وبالذات أمام أرناط الذي كان يثيـر القلاقل أمام المسلمين ؟!

وأين كان أسطوله الحربي سواء على الشاطئ المصري أو الحجازي؟!

ولا شك أن هناك ثغرات عديدة إستفاد منها أرناط في تحقيق عنـصر المفاجأة والمبادأة.فصلاح الدين كان مشغولاً في تلـك الفتـرة بالـصراعات المحتدمة في حلب والموصل ، ومنهمكاً في هذا الصراع في محاولـة منـه لتوحيد الجبهة الإسلامية ، وهو إنشغال أحسن أرناط إستغلاله أحسن إستغلال حيث مضى في مشروعه بسرية وتكتم، مختاراً أفضل الأوقات وحتـى دون أن يُعلم بقية القيادات الصليبية بهذا المشروع ؟!

كما أن تركيز صلاح الدين في الأسطول البحري كان منـصباً علـى البحر المتوسط ، فلم يكن لديه أي قطع بحرية في البحر الأحمر ، ولم يـسبق أن عرفت شواطئه أو مياهه أي تواجد للصليبيين.

تبقى نقطة الجواسيس أو العيون ، الذين كان يجب أن يبـثهم صـلاح الدين في مختلف المناطق الصليبية ، وبالذات المناطق المثيـرة للقلـق مثـل المنطقة التي كان يسيطر عليها أرناط في الشوبك وحصن الكرك!

لقد عرفت الحروب مع الصليبيين ، شأنها شأن كل الحروب ، العيون والجواسيس، وكان صلاح الدين يستخدمهم في مراقبة نشاط الصليبيين ، وكانوا يدخلون إلى القلاع والمعسكرات الصليبية متنكرين بزى بائعين أو عابرين ، وكان العديد منهم من النصارى العرب ، بل والنصارى اللاتين ، بل ومن داخل بلاطات الأمراء والبارونات الصليبيين[٩٢]. ولكن يبدو أنه في هذه الفترة لم يتم الإستفادة منهم بشكل عملى ، إما لأنهم لم يتوفروا في هذه المنطقة ، أو أن يكون أرناط قد إستطاع شراء سكوتهم ، أو أن يكون إستطاع، أن يخفى أمره وأحسن التكتم حتى أنه لم يكن ممكناً كشف أمر هذه المغامرة إلا بعد فترة طويلة ، بقدرها المؤرخون المسلمون بأربعة أشهر[٩٣]، بينما يقدرها أحد المؤرخين الغربيين - في مبالغة واضحة - بأنها إستغرقت قرابة العام[٩٤].

الرد الإسلامي على مغامرة أرناط

عندما وصلت أخبار مغامرة أرناط إلى صلاح الدين ، وقد أصبح أمرها مكشوفاً بوصولها إلى الساحل الحجازي ، وتهديدها المباشر للحجاج الذين كانوا في طريقهم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج لذلك العام[٩٥] ، بادر صلاح الدين من مقر إقامته في دمشق ، إلى إتخاذ الخطوات اللازمه للتصدى لهذه المغامرة الخطيرة ، ولم تثر أخبار هذه المغامرة صلاح الدين وحده وإنما تجاوبت معها مختلف القوى الإسلامية ، حتى أن أتابكة حلب والموصل الذين كانوا في صراع مع صلاح الدين ، وفي تحالفات مع الصليبيين ضده أوقفوا هذه الصلات وإنحازوا إلى موقف صلاح الدين[٩٦].

سارع صلاح الدين في الكتابة إلى أخيه العادل -نائبه فـي مـصر - وهو كان الأقرب إلى الأحداث ، والمتصرف في مركز دولة صلاح الـدين ، لإتخاذ الإجراءات اللازمه للتصدى لأرناط ، وبادر العادل إلى تكليف القائـد حسام الدين لؤلؤ(٩٧) ، قائد أسطول صلاح الدين في مصر ، لإعداد الأسطول للتصدى لهذه المغامرة الصليبية ، ولأن المعلومات كانت قليله عنهـا وعـن المدى الذي وصلته والزمن الذى قطعته فكان لابد من تتبع تحركاتهـا منـذ البداية ، وهنا يظهر أنه لم يكن هناك أسطول جاهز ، أو في مستوى التصدى لهذه المغامرة في سواحل البحر الأحمر ، لذلك فقد قام قائد الأسطول بإعداده في خليج السويس ، و وصلته إمدادات من الإسكندرية والقاهرة ، ثم الإنتقال به إلى إيلة (ايلات) وهي نفس المنطقة التي إبتدأت منها محاولة أرناط وهناك تم إستعادة إيلة من الصليبيين ، في سهولة تامه ، لأن أرناط لـم يتـرك بهـا سوى بعض جنوده(٩٨).

ويذكر المؤرخون هنا أن قوام هذا الأسطول والجيش الذى رافقه ، كان في أغلبه من المقاتلين المغاربة ويقدمون تبريرات لذلك منهـا أن المغاربـة إكتسبوا مهارة في ركوب البحار من خلال عملهم في بحـر الـروم (البحـر المتوسط) ، وكانت الدوله الفاطمية ، التي على أنقاضها قامت الدولة الأيوبية، تعتمد على هؤلاء البحارة إعتماداً كبيراً(٩٩)، وأنه كـان للمغاربـة وضـعهم المتميز في مختلف أجهزة الدولة ومنها الأسطول البحري بـشقيه العـسكري والتجاري ، وهو ما إستمر في دولة صلاح الدين الأيوبي ، بل وفي بعـض الأحيان تم التوسع فيه(١٠٠).

وكلها تبريرات تبدو معقوله ومقبوله إلا أن الأهم من ذلك أن مغـامرة أرناط قد إستفزت جميع المسلمين ، ومنهم المغاربة ، وهذا لاينفى أن آخرين

من جنود صلاح الدين قد شاركوا في حملته للتصدى لأرناط منهم من أهــل الشام ومصر والترك وغيرهم[١٠١].

في إيلة تم توجيه ضربه قويه للصليبيين الذين كانوا يعــسكرون فــي جزيرة فرعون ، فأحرقت مراكبهم ، وقتل وأسر عدد كبير منهم ، وأستعيدت المدينة[١٠٢] ، وبدأ القائد حسام الدين لؤلؤ ، يتتبع أخبار الصليبيين ، فعلم أنهم ساروا إلى عيذاب فسارع إليها على عجل ، إلا أنه لم يعثر على أحــد مــنهم ولكنه عثر على أثار تخريبهم وتدميرهم للمدينة ، ونهبهم لسكانها وقاصــديها من حجاج بيت الله الحرام[١٠٣].

ومن هناك عدل مساره متتبعاً اثر الصليبيين إلى الــساحل الحجــازي للحاق بأسطولهم الذي كان قد أثار الرعب والنهب على الــشاطئ الحجــازي والذي وصلت بعض سفنه إلى مدينة رابغ ، وتُرك القسم الأكبــر منهــا فــي الحوراء ، وكان عدد من التجار والحجاج قد تعرضوا للأسر والنهــب مــن الصليبيين.

قرر أرناط أن يصاحبه عدد من فرسان الداوية[١٠٤] ، وقرابة ٣٠٠ من المقاتلين الصليبيين ، وبرفقتهم بعض المرشدين من الأعراب ، التوجه الــى المدينة المنورة ، وترك بقية جيشه في الحوراء ورابغ[١٠٥]. وفي ذلك الوقت وصل الأسطول الإسلامي إلى ساحل الحوراء ، وقام بالإصــطدام بالــسفن الصليبية وأعمل فيها الحرق والقتل ، وفر عدد من الحراس الصليبيين إلــى الجبال والشعاب المجاورة فعمل المــسلمون علــى مطــاردتهم مــستعينين ، بالخيول التي حصلوا عليها من أهل المنطقة[١٠٦] ، وعلى مدى خمــسة أيــام إستمرت المطاردة وحصدت عدداً كبيراً من الأسرى والقتلى الصليبيين[١٠٧].

لقد إستفاد المقاتلون الإسلاميون ولاشك من التقسيم الذي تم في الجيش الصليبي، ومغادرة قيادته ، وعدد من فرسانه له وتركه على الساحل ، والتوجه إلى الداخل ، وإستطاعوا مباغتة هذا الجزء بعد أن كانوا مطمئنين الى عدم وجود تحرك إسلامي يتصدى لهم ، وشعورهم بالزهو من الإنتصارات التي إستطاعوا تحقيقها في المحطات السابقة. إن مغادرة أرناط ومعه عدد من مقاتليه وفرسانه قد أفقد الجيش الصليبي لقيادة قوية تستطيع تدبر الأمور ، كما أن إنشغال هذا الجيش بتتبع التجار والسكان المسلمين ونهبهم ، قد حقق مع المباغته التي قام بها أسطول حسام الدين لؤلؤ إنتصاراً سريعاً وحاسماً أفقد الصليبيين ، إطمئنانهم السابق ، وأدى إلى حرق سفنهم التي كانت راسيه على الشاطئ ، وأسر وقتل الكثير منهم.

وبادر حسام الدين لؤلؤ - قائد الأسطول الإسلامي - بعد أن علم أن أرناط قد إصطحب مجموعه من مقاتليه قاصدين المدينة المنورة لتنفيذ هدفهم الخبيث ، بادر الى ملاحقتهم ، ومهاجمتهم في الصحراء ، وعلم أرناط وهو يغذ السير إلى المدينة المنورة بما حل ببقية جيشه وملاحقته من قبل المسلمين، مما أربك مجموعته ، وجعله يتخبط في إتخاذ قراره ، ولجأ رجاله الى الشعاب والجبال يختبئون بها ، وتمكن حسام الدين لؤلؤ من إدراكهم وأخذ في مطاردتهم في تلك المرتفعات والجبال، وقد إستغرقت عملية المطاردة وقتاً طويلاً ، مما أتاح الفرصة لأرناط - بما عرف عنه من دهاء ومكر - من الإفلات منها والفرار إلى الشمال(١٠٨) ، ووقع عدد كبير من قواته بين أسير وقتيل ، وقدر عدد الأسرى بـ (١٧٠) أسيراً(١٠٩).

ويبدو أن أرناط منذ البداية إتخذ قراره بالفرار ، وترك مجموعته تقع في ايدي المسلمين ، فلم يبادر باللجوء الى الجبال والمرتفعات - كما فعلت

مجموعته - ولكنه فر إلى الشمال ، دون أن يعلم به أحد ، وهو مالم يدركــه حسام الدين لؤلؤ والذي إعتقد أنه كان محتمياً في الجبال وامضى وقتاً طويلاً في البحث عنه ، فيما كان هو يغذ السير إلى تبوك ، ومعه مجموعة قليله من رجاله ، حيث وصلها منهكاً طريداً ، وإلتقى هناك مجموعتــه التــي كانــت تعسكر بجوار تبوك وإصطحبها عائداً إلى الكرك يجر أذيال الفــشل الــذريع والخسران المبين ، ولكنه إستطاع النجاة بنفسه ، مما أضاع الفرصة للإمساك به وأسره ، والإنتقام منه لفعلته الشنيعه[١١٠].

تبرز هنا نقطة أخرى أثارت جدلاً لدى المؤرخين ، فكثيــر مــنهم - ومنهم المقريزي وإبن واصل - ذكروا أن أرناط وصل إلى مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة؟! وهذا كلام يبدو مبالغاً فيه ، وليس من هدف لــه ســوى التهويل من تحركات أرناط ، فالمؤرخ أبو شامه يذكر أنه بمجــرد وصــول المسلمين إلى الحوراء ، ورأهم الصليبيون فإنهم فروا جميعــاً إلــى الجبــال والشعاب المجاورة خوفاً من القتل أو الوقوع في الأســر ، ولا يتــصور إن الفرنج وهم في هذه الحالة من الخوف والرعب يمكنهم أن يواصلوا ســيرهم إلى المدينة المنورة لينفذوا ماقدموا من أجله ؟! وحتى إن فكروا في ذلك فــإن الادلاء من البدو الذين كانوا يرافقونهم ، خافوا من بطش حسام الدين لؤلــؤ ، فتركوا الفرنج وحدهم وعادوا مدبرين ، ثم وجد الفرنج أنفسهم فــرادى فــي منطقة جبلية وعرة ، لايعرفون لهم طريقاً أو سبيلاً ، وبالرغم من ذلك فــإن المسلمين لم ينتهوا منهم ويكملوا تطويقهم إلا بعد خمسة أيام؟!

والحوراء كما نعلم كانت بعيدة عن المدينة المنورة ، فكيف يكون ليس امامهم سوى مسيرة يوم واحد؟!

على الجانب الآخر ذكر بعض المؤرخين أن الصليبيين وصلوا بسفنهم إلى ميناء ينبع ولو إفترضنا ذلك فإن ينبع تبعد عن المدينـــة المنـــورة ٢٥٠ كيلومتراً إلى الغرب ، وهذا البعد هو الذي يحسم الموقف ، ويـــذكر يـــاقوت الحموى إن ميناء ينبع يبعد عن المدينة المنورة مسافة سبع مراحل[١١١] وهذه السبع مراحل تقدر بمسيرة سبعة ايام ، وليست يوماً واحداً ، على إعتبـــار أن مسيرة اليوم الواحد تقدر بـــ ٣٠ - ٤٠ كيلومتراً كما قدرها الأقدمون ، وكما قلنا فإن هناك مبالغة في تقدير إقترابهم من المدينة ، وليس مـــن مبـــرر لهـــا سوى تشنيعهم وإستهوالهم لهذه المغامرة الصليبية ، التي كادت تـــنجح ، ولـــم يفصلها سوى مسيرة يوم واحد ، كما يزعمون!!

مصير الأسرى والفارين من حملة أرناط

سبق أن أوردنا إن المؤرخين ذكروا أن عدد المقاتلين الذين شـــاركوا في حملة أرناط تجاوزوا ١٥٠٠ مقاتل ، ولم يستطع أرناط الفرار إلا بعـــدد قليل من رجاله الذين رافقوه إلى تبوك ، ولذلك فإنه لاشك أن عدد القتلى كان كبيراً ، وكذلك عدد الأسرى ، ولقد إختلف مصير هؤلاء الأسرى ، ويـــذكر المؤرخون كذلك إن حسام الدين لؤلؤ أرسل أثنين من هؤلاء الأسرى مكبلين بالأغلال لينحروا في منى أمام الحجاج المسلمين[١١٢] ، وليكون ذلـــك عبـــرة لغيرهم من الصليبيين ، وإعلاناً عن إنتصار المسلمين على الـــصليبيين فـــي موسم الحج.

وإصطحب حسام الدين لؤلؤ بقية الأسرى في طريق عودته إلى مصر، والذي فضل أن يكون في نفس الطريق الذي جاء عبـــره الـــصليبيون ، فقـــد

إنتقل إلى عيذاب ومنها إلى قوص وصولاً إلى القاهرة ، وهناك تم إســتقباله إستقبالاً يليق بهذا الإنتصار الكبير ، وبناء على أوامر صلاح الدين تم توزيع الأسرى على شتى أقاليم مصر ليلقوا نفس مصير الأسيرين السابقين وكــان أمره "ضرب رقابهم وقطع أسبابهم بحيث لايبقى منهم عين تطرف ، ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف"(١١٣).

ويروى إبن جبير -وكان شاهد عيان لهذه الأحداث - في رحلته مارآه في الإسكندرية في محرم سنة ٥٧٨هــ مايو ١١٨٣م "حيث إحتشد الناس في جمع عظيم لرؤية أسرى الروم (يقصد الصليبيين) الذين أدخلــوا الـــى البلـــد راكبين على الجمال ، ووجوههم إلى أذنابها وحولهم الطبول والأبواق ، حيث قطعت رقابهم إنتقاماً منهم لما اقدموا عليه"(١١٤).

فهذا كان مصير الأسرى الذين إستطاع حسام الــدين لؤلــؤ ان يلقـــى القبض عليهم، وأن يسوقهم أمامه مكبلين ، ولكن ماهو مصير أولئــك الــذين نتوقع أنهم إستطاعوا الإختباء في الجبال والمرتفعات والــشعاب ، أو قــبض عليهم البدو والأعراب ، وإحتفظوا بهم ، أو كانوا بعيدين عن قــوات حــسام الدين لؤلؤ ، ولم يكونوا في مجال مطاردته أو إستطاعوا النجــاة مــن تلــك المطاردة ؟! ذلك ماتسكت عنه المصادر التاريخيه!! ولكن هنــاك رحالـــة ، ودراسات أنثربولوجيه تعطي مؤشرات قد تدل على مصير أولئك الفــارين ، ولا تخلوا من قيمة ، فهم يذكرون أن هناك جماعات بــشريه قــد تواجــدت وتعايشت مع سكان شمال وشمال غرب الجزيرة العربية ، تقترب كثيراً فـــي مواصفاتها الجسمانية ، وسحنتها الشكليه إلى تلك المواصفات الأوروبيـــه أو الأفرنجيه ويطلق عليهم السكان المحليون في بعض المناطق تــسمية شــعبيه تميزهم عن فئات السكان الأخرى وترتبط بهم وتّعرف بهم هي الــ "صـــلبه"

ومفردها "صلبى" ، والكلمة كما يبـدو مـن تركيبهـا مـشتقه مـن كلمـة "الصليبيون"، وتأتي على طريقة البدو في نطق العديد من الكلمات والمسميات عند النسبة.

ويذكر الرحاله محمد أسد في كتابه الشهير "الطريق إلى مكة"(١١٥) انـه في إحدى جولاته في الجزيرة العربية تفاجأ باحد هؤلاء في الصحراء وعندما سأله من يكون قال أنه صلبى ، ثم يقدم تعريفاً لهؤلاء الـصلبه وأصـلهم(١١٦) والأقوال التي تتردد عن موطنهم الأصلى ويـربطهم بـالحروب الـصليبية وعلاقاتهم بأهل المنطقة والأعمال التي كانوا يجيدونها ويعتمد عليهم الـسكان فيها(١١٧) ، ويذكر جانباً مهماً عن سحناتهم ومواصـفاتهم الجـسمانيه ولـون أعينهم وبشرتهم ، وكيف انها أقرب ماتكون إلى الفـرنج منهـا إلـى أبنـاء المنطقة وشعوبها(١١٨). ومن حديثه مع هذا الرجل - الذي عرف نفسه بأنـه صلبى - يذكر أن أسلافه وأجداده جاؤوا من الشمال ، ولكنه لايعرف في اي زمن أو تاريخ !!

فهل هذه الجماعات أي الـ "صلبه" هم من بقايا الأسـرى والفـارون والملتجؤن إلى الجبال والوهاد والمرتفعات ، والذين لم يتمكن قائـد صـلاح الدين من العثور عليهم ، والإمساك بهم ؟! أو من أخفاهم الأعـراب لـديهم ، هم من بقايا هذه المغامرة التي قام بها أرناط ؟!

قد يكون الأمر كذلك!! وقد يكون هؤلاء الـ "صلبه" ليسوا من مخلفات هذه الغزوة فقط، وإنما قد يكونوا جاءوا من مجموع الصليبيين الذين وقعـوا في الأسر في العديد من الجولات والمعـارك التـي دارت بـين الـصليبيين والمسلمين في عدة انحاء خلال فترات الصراع الطويلة ، ومن ثم تـم نقلهـم

إلى أماكن أخرى قد تكون بعيدة عن مناطق تواجدهم الأولى في بلاد الشام وفلسطين - ومنهم هؤلاء الذين رافقوا أرناط - خاصة وأن محمد أسد يذكر أن مؤرخي العرب القدماء يقولون أنهم متحدرون من الصليبيين الذين وقعوا اسرى صلاح الدين وجئ بهم إلى الجزيرة العربية حيث أعتنقوا الإسلام فيما بعد(١١٩).

أو قد يكونوا من أولئك الذين تخلفوا بعد جلاء الصليبيين من المنطقة وإنتهاء تواجدهم وسيطرتهم عليها ، وخلال سنوات عديدة عاشوا بين القبائل العربية وذابوا فيها ، وبالذات تلك التي كانت تمارس الترحال والتنقل بين مختلف أنحاء الجزيرة وبلاد الشام ، مثل الرولة والعقيلات، وأصبحوا جزءاً من هذه القبائل ، أو تابعين لها ومحسوبين عليها ، بحكم إلتحاقهم بها ، وإرتباطهم بالخدمة والعمل لديها؟!

والذي يدفع الى هذا الإعتقاد أن عدد الأسرى الذين عاد بهم حسام الدين لؤلؤ إلى مصر مقارنة بعدد الذين شاركوا في المغامرة منذ خروجها من الكرك يبدو كبيراً ، فعدد الذين شاركوا منذ البداية كانوا يزيدون على ١٥٠٠ مقاتل ، بينما الأسرى الذين عاد بهم لم يتجاوزوا ١٧٠ - كما يقول المؤرخون المعاصرون - فأين ذهب الباقون ؟!

أن الإستعانة بمزيد من الدراسات الانثروبولوجية والسكانية ، ومشاهدات الرحالة ، قد تلقى شيئاً من الأضواء عن هذا الأمر ، وتكشف مزيداً من المعلومات عن مصير الذين شاركوا في مغامرة أرناط في البحر الأحمر والساحل الحجازي ، ومصير الصليبيين الذين ذابو في السكان المحليين في شمال الجزيرة العربية أو بلاد الشام وفلسطين.

نتائج مغامرة أرناط على المسلمين والصليبيين

لقد كان لمغامرة أرناط في إرتياد البحر الأحمر ومهاجمته مدن الساحل المصري والحجازي ، ومن ثم التهديد بغزو المدينة المنورة ، ومكة المكرمة، أي قلب العالم الإسلامي ، والإستيلاء على جثمان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فشله آثاراً ونتائج خطيرة على الصراع بين المسلمين والصليبيين ، وعلى إيقاع هذا الصراع وعلى موقف القوتين المتصارعتين.

فعلى الجانب الصليبي ، لو نجح هذا المشروع - لاقدر الله - فإنه كان سيقلب موازين القوة في المنطقة وسيفقد المسلمين أعز مايملكون ، وسيضيف للصليبيين إنتصاراً كبيراً ومدوياً ، ربما كان غير من واقعهم ووجودهم في المنطقة ، ولكن فشله الكبير والذريع أدى إلى نكسة كبيرة للصليبيين ، كما أدى إلى تصدع صفوفهم وعجل بنهايتهم[١٢٠].

كما أن هذا الفشل كشف أرناط أمام الصليبيين ، ومقدار طيشه ومغامرته ، وعدم محافظته على مصالح الصليبيين ، ولا مراعاته لأوضاعهم السياسية والعسكرية ساعة قيامه بهذه المغامرة.

وكذلك توريطهم في عدم المحافظة على معاهدات السلام التي كانت معقودة في هذه الفترة بين الطرفين ، والتي كان المستفيد الأكبر منها الصليبيون الذين كانت أوضاعهم السياسية في أسوأ حالاتها ، ومراحلها[١٢١]. كما أن هذه النتيجه التي أنتهت بها المغامرة أوضحت مقدار الضعف الذي كانت تمر به ممكلة بيت المقدس ، وكان أكثر العارفين بهذا الضعف أرناط نفسه الذي تمرد على أوامر ملكها ، الذي كرر مطالبته لأرناط بالتعقل وعدم

إستفزاز المسلمين ، ولكنه لم يستجب لذلك ، وكان عصيانه وبالاً عليه وعلى الصليبيين[١٢٢].

اما على الجانب الإسلامي فقد كان لهذه النهاية لمغامرة أرنـــاط أثـــار كبيرة ، فهي قد وحدت بين صفوف المسلمين وألهبت حماســتهم ، وعجلــت بتحقيق وحدتهم ، وجعلت المناوئين لصلاح الدين يخجلون مــن تــصرفاتهم بالتحالف مع الفرنج ، وأشعرتهم بالخجل[١٢٣] ، فقام صاحبا الموصل وحلــب بالتفاهم مع صلاح الدين ، وقطعوا إتصالاتهم بالفرنج.

كما أن هذه النهاية ساهمت في إزديــاد مكانـــة صـــلاح الـــدين لـــدى المسلمين وإلتفافهم حوله وذاعت شهرته في جميع أنحاء العـــالم الإســـلامي ، وأصبح الزعيم الأكبر المعقودة عليه الآمال فـــي إســـتعادة الأرض العربيـــة وتحقيق الآمال الإسلامية. كما أنها حسنت موقف المسلمين العسكري ورفعت معنوياتهم الحربية ، وأظهرت حقيقة الصليبيين ، وحقيقة أطماعهم ، فإزدادت الكراهية لهم ، وكان عاملاً مهماً في إحجام أي قوة إســـلامية عـــن التعـــاون معهم[١٢٤].

كما أن هذا الفشل الذي إنتهت إليه مغامرة أرناط ، تحول إلى بطولـــة للأسطول المصري ، كما انه نبه صلاح الدين إلى ضرورة تركيز الهجمـــات على حصن الكرك ، وعلى ضرورة بقاء إيلة وجزيرة فرعـــون فـــي أيـــدي المسلمين ، لما في ذلك من خطورة إذا عادت إلـــى الـــصليبيين[١٢٥]. ومـــن المكاسب المادية أن شجعهم هذا الإنتصار على مهاجمة السفن الصليبية فـــي البحر المتوسط ، والظفر بمراكب تحمل أخشاباً منجورة ، ومعهـــا نجـــارون لإعدادها وبنائها ، فأسر النجارون وكانوا يزيدون على سبعين ، كمـــا إنتفـــع

المسلمون بالأخشاب في تقوية أسطولهم[١٢٦]. على أن الأهم من كل ذلك أن فشل هذه المغامرة قد أوقف التطلعات الصليبية الى موانى البحر الأحمر ، فلم تتكرر محاولاتهم في الإقتراب من شواطئه ، أو الإبحار بين موانئه ونهب وسلب مرتاديه من تجار وحجاج.

ولكن ماهي العوامل التي ساعدت على وصول المغامرة إلى هذه النهاية الفاشلة؟! في الواقع أن مشروعاً خطيراً مثل هذا المشروع الذي أقدم عليه أرناط بضخامته وخطورة أهدافه ، كان محكوماً عليه بالفشل منذ البداية، وذلك بالنظر إلى الأوضاع السيئه التي كانت تعيشها مملكة بيت المقدس ، والصراعات التي ألمت بها ، وببقية الأمارات الصليبية طوال الربع الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي - السادس الهجري.

فقد ساءت أحوالها الداخلية ، وخاصة في الفترة التي بدأت بوصاية ريموند الثالث - أمير طرابلس - على عرش بلدوين الرابع ملك بيت المقدس المريض وما صاحب تلك الوصاية من صراعات بين البارونات والأمراء ، وما أدى إليه من زيادة في الضعف والشقاق[١٢٧]. وبالتالي فلم يكن هناك قوة يعتمد عليها أرناط أو إجماعاً يحمي ظهره ، ويدعم مغامرته.

فأرناط إختار توقيتاً سيئاً لمغامرته ، ولم يحالفه التوفيق في إختيار الوقت المناسب لتنفيذ هذا المشروع الخطير ، فربما كان من الممكن التفكير في ذلك المشروع ، وتوقع النجاح لو أن ذلك تم في عهد ملوك بيت المقدس الأقوياء ، أمثال الملك بلدوين الثالث أو الملك فولك ، عندما كان زمام القوة والتفوق الحربي في بلاد الشام وفلسطين في يد الصليبيين ، وهو الوقت الذي شهد فيه العالم الإسلامي ضعفاً شديداً ، ولم تكن الوحدة الإسلامية التي هدف

إليها صلاح الدين قد إكتملت بعد[١٢٨]. ففي السنة التي شرع فيها أرناط بتنفيذ مغامرته على بلاد الحجاز (٥٧٨هـ/١١٨٢م) أصبحت كفة المسلمين هي الأرجح ، وجبهتهم التي شملت الشام ومصر هي الأقوى[١٢٩] ، وفي هذه الفترة بالذات نشطت همة صلاح الدين لتحقيق الوحدة الإسلامية ، التي يستطيع بها ضرب الوجود الصليبي ، فبذل جهوداً مكثفه ومتواصله ، للوصول إلى هذا الغرض ، وخاض عدداً من الحروب والمواجهات والاتفاقيات التي مكنته من تحقيق هذه الوحدة ، في الوقت الذي شهدت جبهة الصليبيين تفككاً كان له أثره الكبير في زيادة الإضطرابات في معسكرهم.

لذلك فإن محاولة أرناط ، الذي لم يلق إهتماماً للأوضاع العسكرية كانت أقرب إلى الطيش والإرتجالية والمغامرة ، منها إلى الواقع ، وهذا مايؤكد عليه الصليبيون أنفسهم ، ومؤرخوهم ، قبل المؤرخين المسلمين.

غير أن الجدير بالذكر أن عنصرى المفاجأة والسرية التامة اللتين إتبعهما أرناط في بداية المغامرة ، وفي الجزء الأكبر منها ، قد شكلا إرباكاً خطيراً ، ليس في الأماكن التي حلت بها قواته فقط وإنما في ارجاء العالم الإسلامي ، وشكلت تهديداً خطيراً ، ورغم أن رد الفعل الإسلامي كان في بداية الأمر متأخراً وربما ضعيفاً ، إلا أنه مالبث أن تم تدارك ذلك ، بالتحرك القوي والفعال ، بعد أن أوشك أرناط أن يحقق جانباً كبيراً من مشروعه ، فقد إقترب كثيراً من المكان الذي كان يسعى إليه ، لتنفيذ جريمته، لولا أن أعيته مشاق الطريق وصعوبته ، وقسوة المناخ في المناطق التي مر بها ، كذلك قلة الجنود الذين إستخدمهم لتنفيذ مشروعة وتناقص هذا العدد كلما تقدم، ثم إجتهاد الجيش الإسلامي في تعقبه ورجاله على الساحل والداخل

الحجازي ، ليتحصر همه في نهاية الأمر في البحث عن طريقة للنجاة بحياته، وليس لإنقاذ مغامرته.

مصير أرناط

لقد إستطاع أرناط بالدهاء والمكر الذي عرف بهما وهو الأمر الذي جعل إبن الأثير يطلق عليه بأنه شيطان من شياطين الفرنج ومردتهم وأخبثهم(١٣٠) ، أن ينجو من مطاردة حسام الدين لؤلؤ ، ولشدة أذاه للمسلمين ، وجرأته عليهم وعلى مقدساتهم ، فإن صلاح الدين قد أقسم على أن يقتله بنفسه إذا وقع في يده(١٣١).

والواقع أن أرناط بما عرف عنه من مكر وخداع وطمع ، وخرق للإتفاقيات ، وهي من الصفات التي أشتهر بها(١٣٢) ، لم يرتدع لهزيمته ، وأخذت تحدثه نفسه مراراً بمهاجمة القوافل التجارية وقوافل الحجاج رغم توقيع هدنة وإتفاقية بين الصليبيين وصلاح الدين(١٣٣).

ففي أواخر سنة ٥٨٠هـ/١١٨٦م إنقض فجأة على قافلة إسلامية متجهة من القاهرة إلى دمشق ، ويبدو ان تلك القافلة بما حملته من نفائس وثروات أسالت لعاب "الفارس اللص" فلم يبال بالعهود والمواثيق(١٣٤).وقام بمهاجمتها وأسر رجالها ونهب أموالها(١٣٥).

وأرسل صلاح الدين إلى أرناط مقبحاً لأعماله ، ومذكراً له بالعهود والإتفاقيات، وهدده ، ولكن أرناط رفض إطلاق سراح الأسرى ، وبلغ من جرأته أن أجاب رسل صلاح الدين في صورة إستفزازية بقوله : قولوا لمحمد يخلصكم(١٣٦) وحاول صلاح الدين كما هي عادته بالتذرع بالحلم ، أن

يلجأ إلى ملك بيت المقدس الضعيف جاى لوز جنان ، ولكـن أرنـاط كـرر اعراضه ، وأصر على عدم تنفيذ الأوامر التي أصـدرها إليـه ملـك بيـت المقدس لإعادة مأستولى عليه من القافلة الإسلامية[١٣٧].

ويبدو أن أرناط إختار - مرة أخرى - الوقت السيء لإستثارة صلاح الدين ، وإستفزازه، فقد كان الإنشقاق قائماً بـين الـصليبيين وكـان هنـاك إعتراض على تولى لوز جنان عرش بيت المقدس من أمير طرابلس وأميـر أنطاكية ، بل أن هذين الأميرين إنشقا على الصليبيين وإتصلوا بصلاح الدين وجددوا المعاهدات معه[١٣٨].

وسرعان ماتسارعت الأحداث ، ففي الوقت الذي عـصفت الخلافـات بالصليبيين، إستكمل صلاح الدين إسـتعداداته وتجهيزاتـه وبـدأ فـي عـام ٥٨٣هـ/١١٨٧م هجماته على الصليبيين وكانت أولـى الإنتـصارات فـي صفوريه[١٣٩]، ثم تلاها الإنتصار الكبير والحاسم في حطين ، بجوار بحيـرة طبريه[١٤٠].

في حطين حلت الهزيمة بالصليبيين ، وتساقط جيـشهم بـين قتيـل و أسير، وكان من بين الأسرى الملك جاى لوز جنان ملـك بيـت المقـدس ، وأرناط ، وجيراردى مقدم الداوية ، وغيرهم من أكابر الصليبيين[١٤١].

وفي خيمة صلاح الدين كتبت الصفحة الأخيرة في حياة أرناط المغامر الصليبي الجريء ، الذي لم يسلم من أذاه وتهوره كلا المعـسكرين ، حيـث يذكر المؤرخون إن صلاح الدين إستعرض الأسرى ، وأجلس إلـى جانبـه الملك لوز جنان وقد أهلكه العطش ، وقدم له إناءاً بـه مـاء مثلـوج[١٤٢] ، فشرب منه وأعطى ماتبقى لأرناط فشرب، وعندئذ غـضب صـلاح الـدين

وقال: إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فيناله أمانى ، ثم إلتفت إلى أرناط وذكره بجرائمه وخياناته وقرعه بذنوبه وعدد عليه غدراته ، ثم أمسك بسيفه وأطاح برأسه[١٤٣] ، ولم يسلم أيضاً أسرى الداوية والإسبثاريه من غضبة صلاح الدين ، حيث أمر لكل من يحضر واحداً منهم بمكافأة ، ثم أمر بضرب أعناقهم ، مما يدل على إستيائه البالغ منهم وحنقه عليهم[١٤٤].

وهكذا بر صلاح الدين بقسمه الذي أقسمه بحق أرناط وهو أن يقتله بيده ، جزاء جرائمه بالمسلمين ، ومغامراته ضد مقدساتهم ، وبمقتل أرناط إنفتح الطريق إلى بيت المقدس التى بقيت زهاء قرن في أسر الصليبيين[١٤٥] وإلى حصن الشوبك والكرك ، وبقى البحر الأحمر بحيرة عربية بعيدة عن طموحات وتطلعات الصليبيين ومغامراتهم طوال فترة الحروب الصليبية.

الهوامش

١ - وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى المنطقة في أعقاب مؤتمر كليرمونت ، الذي دعا إليه البابا أوربان الثاني في مدينة كليرمونت الفرنسيه سنة ١٠٩٥م/٤٨٩هـ ، وقد جاءت مدفوعه بعدة أهداف وأغراض ، لمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية الأولى وأهدافها وأغراضها وأحداثها ، والعلاقات التي سادت بين أمرائهاوالمشاركين فيها أنظر : د.عمر يحي محمد ، الحملة الصليبية الأولى : بيزنطياً وغربياً وإسلامياً ، مكتبة دار جدة ، جدة ١٤٢٦هـ .

٢ - كان الصراع بين الدولتين العباسية والفاطمية ، احد العوامل الرئيسية لنجاح الصليبيين في حملتهم ، والأدهى أن الفاطميين لم يفطنوا في البداية إلى أهداف الصليبيين ، بل وحاولوا التحالف معهم ، لمزيد من التفاصيل عن هذه المرحلة أنظر ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبعة دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، جـ٨ ، ص١٨٩ وكذلك ، ستيفن رانسيمان ، الحملات الصليبية ، ترجمة نور الدين خليل ، الطبعة الثانية ، مكتبة الشروق ، القاهرة ١٩٩٤م ، جـ١ ، ص٤١٤.وكذلك : فهمى توفيق مقبل ، الفاطميون والصليبيون ، الدار الجامعية ، بيروت ١٩٧٩م.

٣ - السلاجقه ، ويسمون هنا بسلاجقة الروم ، هم القوى الأولى التي إصطدم بها الصليبيون ، ودخلو معهم في جولات صراع عديدة قبل أن تنهار قوتهم ويفتح الطريق أمام الصليبيين للوصول إلى بيت المقدس ، لمزيد من التفاصيل عن السلاجقة أنظر : عبدالمنعم محمد حسنين ، دولة السلاجقة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، وكذلك ، عمر يحي ، الحملة الصليبية ، مرجع سابق ، الفصل الخاص بالصراع بين البيزنطيين والسلاجقة.

٤ - سقطت الرها بيد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م وحكمها من أمراء الحملة الصليبية الأولى بلدوين ، وسقطت بعدها انطاكية خيانة وحكمها بوهيموند ، وسقطت طرابلس سنة٥٠٣هـ/١١٠٤م وحكمها ريموند الصنجيلى ، وكونوا بها أمارات صليبيه ، أما بيت

المقدس التي تكونت بها ممكلة بقيادة جودفرى دى بويون فقد سقطت سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م.

٥- ارنست باكر ، الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٧م ، ص٧٣

٦- لويس السابع ملك فرنسا وحكم في الفترة (١١٣٧-١١٨٠م / ٥٣٢-٥٧٦هـ) وأعلن إنظمامه للحملة الصليبية سنة ١١٤٥م/٥٤٠هـ تكفيراً عن ذنوبه ، هـ.ماير ، الحروب الصليبية ، ترجمة د.عماد الدين غانم ، مجمع الفاتح للجامعات ، طرابلس ١٩٩٠م ، ص١٤٣

٧- كونراد الثالث ملك ألمانيا وحكم في الفترة (١١٣٨-١١٥٢م / ٥٢٣هـ-٥٤٧هـ) وقد إشترك في الحملة متأثراً بالخطبة التي ألقاها القديس برنارد المندوب البابوي في كاتدرائية شبيرز ، أنظر باركر ، مرجع سابق ، ص٧٣

٨- سميت الحملة الصليبية الأولى بحملة الأمراء ، لأن الذين شاركوا فيها كانوا من الأمراء فقط ، ولم يشارك بها ملوك أوروبا لوجود خلافات بينهم وبين البابا أوربان الثاني، ولم يكن بعضهم يعترف به كبابا في روما.

٩- نور الدين زنكى هو إبن عماد الدين زنكى أتابك الموصل ، وأهم الأمراء في العهد السلجوقي ، وقد بدأ حكمه بتثبيت إستعادة الرها التي سبق وأن إستعادها والده سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م وحقق إنتصارات كبيرة على المناوئين له ، وأظهر كفاءة كبيرة في التصدى للصليبيين وتوحيد صفوف المسلمين، وتولى الحكم وهو في التاسعة والعشرين من عمره ، وكون دولة كبيرة شملت الشام ومصر وبلاد الجزيرة وتوفى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م ، إبن الأثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص١٢٤ ، ويصفه وليم الصورى أنه كان أميراً عادلاً وشجاعاً ومتزناً وتقياً ، وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، ترجمة د.حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥م ، جـ ٣ ، ص ٢٤٣

١٠- عاد كونراد براً عن طريق القسطنطينية سنة ١١٤٨م/٥٤٣هـ وعاد لويس إلى فرنسا بحراً في العام التالي ، وترتب على هذا الفشل ، عجز البابويه عن القيام بحملة صليبية جديدة لسنوات طويله ، وإنفتح الطريق أمام نور الدين محمود ليحقق إنجازات كبيرة أهمها الإستيلاء على دمشق سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م والتطلع نحو مصر ، باركر ، مرجع سابق ، ص ٧٨

١١- أرناط : هي التسميه التي أطلقها المؤرخون المسلمون على هذا المغامر الصليبي الذي جاء في ركاب حملة لويس السابع ملك فرنسا ، وهو الإبن الأصغر لجيوفرى كونت جبيس وسيد إقطاع شاتيون في وادى اللوار بفرنسا ، وهو تحريف لـ "ريجنالد" وقد أصدر شلومبرجر (Schlumberger) كتاباً عنه بالفرنسيه سنة ١٨٩٨م ، ولكنه غير متوفر حالياً.

١٢- شاتيون والتي ينسب إليها أرناط ، مدينة إقطاعيه قديمة ، تقع في شرق فرنسا ، وكانت مدينة مجزأة ، ولم تتحد إلا في القرن السادس عشر الميلادي وشهدت أحداثاً كثيرة أثناء صراعات ملوك فرنسا، أنظر : Stevenson , The crusades in the East , Beirut , 1968 , P.164

١٣- عاصر أرناط من ملوك بيت المقدس كلاً من : بلدوين الثالث ، عمورى الأول ، بلدوين الرابع ، بلدوين الخامس ، وجاى لوز جنان.

١٤- رانسيمان ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٤٠٣

١٥- هارولد لامب ، شعلة الإسلام ، ترجمة محمود عبدالله يعقوب ، دار المتنبي بغداد ١٩٦٧م ، ص٩٤

١٦- سعيد عبدالفتاح عاشور ، مصر والشام في عهد الأيوبين والمماليك ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢م ، ص٥٠

١٧- وليم الصورى ، مصدر سابق ، ج ٣، ٤ ، عدة صفحات.

١٨- Baldwin , The Decline and Fall of Jeruslem , London , 1969 , P.603

١٩- Grousset , hist. des Croisades et de Royaume France de Jerusalem, Paris , 1940 ,Vol.II , P. 320

٢٠- King , E , The Knights Haspitallers in the Holy land , London , 1931 , P.111

٢١- لامب ، مرجع سابق ، ص ٩٤

٢٢- كارين أرمسترونج ، الحرب المقدسة ، ترجمة سامي الكعكي ، دار الفكر العربي ، بيروت ٢٠٠٤م ، ص٣٠٤

٢٣- إبن الأثير الكامل ، مصدر سابق ،جـ٩ ، ص١٥٢

٢٤- أبو شامة ، شهاب الدين المقدسي ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، دار الجيل، بيروت (د.ن) ، جـ٢، ص٧٥

٢٥- انطاكية : تقع انطاكية على نهر العاصى (الأورنت) على مسافة ١٢ ميلاً من البحر ، فتحها المسلمون على يد أبى عبيدة عامر بن الجراح سنة ٣٢هـ/٦٣٨م أثناء فتح الشام ، وبقيت في يد المسلمين حتى إستولى عليها الإمبراطور نقفور فوكاس سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م ، ثم عادت إلى يد المسلمين عندما فتحها سليمان بن قتلمش سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٥م ، فلما مات إنتقلت إلى حوزة السلطان ملكشاه فعين عليها ياغى سيان التركى، والذي حكمها ١٠ سنوات ، ثم سقطت في يد الصليبيين ، وتتمتع انطاكية بجغرافيه فريدة ، ولعبت دوراً كبيراُ في الحروب الصليبية ، وكانت عزيزة على النصارى، فقد أقام بها بطرس أول أسقفية وبها العديد من الكنائس معمولة بالذهب والزجاج الملون والبلاط ، لمزيد من التفاصيل أنظر : إبن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص١٢٦ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١، ص٣٥٤ ، أسد رستم : كنيسة انطاكية، جـ٢ ، ص٢٦٨ ، وعن الأدوار التي لعبتها خلال الحروب الصليبية أنظر : حسين عطيه ، أمارة انطاكية الصليبية والمسلمون ، دار المعرفة الجامعيه ، الاسكندرية ، ١٩٨٩م

٢٦- سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القـاهرة ، ١٩٧١ م ، ج٢، ص ٦٤٩

٢٧- Baldwin , op.cit , P.603

٢٨- وليم الصورى ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٣٥٩

٢٩- المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٨٠

٣٠- يذكر إبن الأثير أن شيزر حصن قريب من حماه وبينهما حوالي نصف نهار ، وهو من أمنع القلاع وأحصنها تقع على حجر عال له طريق منقور في الجبل ، إبن الأثيـر ، الكامل ج ٩ ، ص١٩٢ وأيضاً Baldwin , op.cit , P. 542

٣١- إبن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيـروت ١٩٠٨م ، ص٣٤٩

٣٢- يذكر وليم الصورى أن ثوروس الثاني كان رجـلاً متقلـب الأطـوار ، غريـب التصرفات كثيراً ماخرب ودمر ، وكثيراً ماكان ينزل إلى سهل قليقيا لمهاجمتـه وحمـل الاسلاب والغنائم ، مما مثل إنتهاكاً صريحاً لأراضى الإمبراطورية البيزنطية مما جلـب عليه غضب الإمبراطور البيزنطي ، وليم الصورى ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص٤٥١

٣٣- Stevenson , op.cit , P.180

٣٤- وليم الصورى ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص٤٠٢

٣٥- Hill , G , A history of Cyprus , Cambridge , 1940 , P.307

٣٦- وليم الصورى ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص٤٠٢

٣٧- نفس المصدر ، ص٤٠٣

٣٨- نفس المصدر ونفس الصفحة

٣٩- عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٦٧٣ ، وهو يشير أيضاً إلـــى أن بلـــدوين الثالث كان في السابعة والعشرين من عمره في حين كانت العروس في الثالثة عشرة من عمرها

٤٠- المصيصة ، من ثغور الشام في الطريق بين انطاكية وبلاد الروم ، وهي تقـــارب طرسوس ، ياقوت الحموى، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص١٤٤

٤١- وليم الصورى ، ج ٣ ، ص٤٢٩

٤٢- المصدر السابق ، ص٤٣٠

٤٣- Ostrogorsky ,G , Hist. of the Byzantine state , second edition , London , 1956 , P.343

٤٤- Ibid , P.344

٤٥- Vasiliev , A , History of the Byzantine Empire , The university of Wisconsin press , 1957 , Vol II , P.68

٤٦- يعود الصراع بين بوهيموند النورماندى ، والإمبراطورية البيزنطية وإمبراطورهـــا الكسيوس كومنين إلى فترة مبكرة تسبق قيام الحروب الصليبية ، وقد تطورت إلى الأسوأ في أعقاب الحملة الصليبية الأولى، وشهدت جولات من الحروب والإشتباكات في انطاكية وفي إيطاليا ، وأنتهت بتوقيع إتفاقيه ديفول Devol الشهيرة (١١٠٨م/٥٠٢هـــ) والتـــي انهت بوهيموند ونشاطاته السياسية والعسكرية ، لمزيد من التفاصيل أنظر : عمر يحي ، الحملة الصليبية الأولى ، مرجع سابق ، عدة صفحات.

٤٧- Grousset , op.cit , II , P.307

٤٨- Vasiliev , op.cit , II , P.69

٤٩- Ostrogorsky , op.cit , P.343

٥٠- وليم الصورى ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص٤٣٢

٥١- لامب ، مرجع سابق ، ص٥٩ ؛ Stevenson , op.cit , P.183

٥٢- وهذا مما يؤكد أن ولاء انطاكية رغم تعهدات أرناط السابقة لم يكن للإمبراطور البيزنطي ، وإنما لحكام بيت المقدس ، ويؤشر إلى مدى الخلاف وعدم الثقة بين الطرفين.

٥٣- Hill , op.cit , P.311

٥٤- ماير ، مرجع سابق ، ص١٧٤

٥٥- في هذه الفترة كان صلاح الدين الأيوبي قد أنفرد بمصر ، وبدأ الخلاف بينه وبين نور الدين محمود، وحلت القطيعة ، وكادت الأمور تتطور إلى إعلان نور الدين الحرب على صلاح الدين لولا وفاته سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م.

٥٦- إبن كثير ، البداية والنهاية ، مطبعة السعاده ، القاهرة ١٣٥٨م ، ج١٢ ، ص٢٨٥ ، وكان رفض صاحب الموصل لدعوة إبن المقدم للقدوم إلى دمشق وتسلمها ، خشية أن يغدروا به. وأبن المقدم هو شمس الدين محمد بن عبدالملك ، وكان قائداً من الولاة المقدمين في العهدين النورى والصلاحى ، وعندما توفى نور الدين قام بتربية إبنه الصالح إسماعيل وبعد دخول صلاح الدين إلى دمشق سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ولاه بعلبك ثم جعله قائداً لجيوشه ، وشارك في فتوحات صلاح الدين حتى فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، وبعد فتح بيت المقدس إستأذن صلاح الدين للحج حيث قاد الحج الشامى ، وصبيحة عيد الأضحى حصلت فتنه مع الحجاج العراقيين ذهب ضحيتها إبن المقدم ، حيث توفى هناك ، إبن الأثير ، ج٩ ، ص١٨٨

٥٧- إبن العماد (أبو الفلاح عبدالحي الحنبلى) ، شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب ، دار الافاق الجديدة ، بيروت (د.ت) ، ج ٤ ، ص٢٣٦

٥٨- لمزيد من التفاصيل عن هذه التحالفات أنظر ، إبن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٣٧ ، وأيضاً: إبن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، عدة صفحات.

٥٩- كمشتكين أحد رجال نور الدين ، وعندما توفى نور الدين قام بنقل إبنه الملك الصالح إسماعيل من دمشق إلى حلب ، وقبض على عدد من أقرانه من القاده مما اثار إستياء إبن

المقدم ودفعه للإتصال بصلاح الدين ودعوته إلى دمشق، إبن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٨٥

٦٠- Stevenson , op.cit , P.214

٦١- إبن واصل ، (جمال الدين محمد بن سالم) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ج٢ ، ص٣٨ وأيضاً Duggan , The story of Crusades , London , 1969 , P.140

٦٢- ماير ، مرجع سابق ، ص ١٨٨

٦٣- ويذكر المؤرخون أن زواجه من تلك الأميرة لم يكن لشبابها أو جمالها فقد كانت أرملاً سبق أن تزوجت رجلين ثالثهما أرناط نفسه ، وإنما تزوجها لإقطاعها الذي ورثته عن والدها ؛ Buldwin , op.cit , P.603

٦٤- الكرك : تعتبر أمارة الكرك من أهم الأمارات الصليبية ، وكانت إحدى الحصون الهامة وخط الدفاع الأول الذي يحمى الصليبيين من الجهة الشرقيه والجنوبيه ، وكانت تتحكم في طريق القوافل وتحصل على رسوم وضرائب كثيرة ، وكانت قلب المملكة الصليبية النابض ، أنظر لامب ، مرجع سابق، ص٩٤

٦٥- بذلت عدة محاولات إسلامية لإستخلاص الكرك ، ولكنها إستعصيت عليهم لحصانتها ، ولم ينجحوا في الإستيلاء عليها إلا بعد فتح بيت المقدس ومقتل أرناط ، لمزيد من التفاصيل عن هذه المحاولات أنظر ، د.يوسف درويش غوانمه ، أمارة الكرك الايوبية، دار الفكر ، عمان ١٩٨٢م

٦٦- أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ٣٧ ؛ إبن واصل ، مفرج الكروب ، ج٣، ص٣١٧

٦٧- يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م ، ص٧٤

٦٨- كلود كاهن ، الشـــرق والغــرب زمن الحـــروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشيخ ، دار سينا للنشر ، القاهـــرة ، ١٩٩٥م ، ص ١٩١

٦٩- رياض مصطفى شاهين ، قلعة فرعون ساحة للصدام الصليبي والإسلامي ، بحث في كتاب ندوات إتحاد المؤرخين العرب رقم (١١) ، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص١٢٤

٧٠- Lanepoole , saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem , Beirut , P.174

٧١- إبن جبير (أبو الحسن محمد الاندلسى) ، رحلة إبن جبير ، تحقيق حسين نـــصار ، القاهرة ١٩٥٥م، ص٣٤.

٧٢- غوانمه ، مرجع سابق ، ص ١٢٨

٧٣- Duggan , op.cit , P.146

٧٤- إيلة : إيلات الحاليه ، مدينة على البحر الأحمر وتقع في خليج العقبه ، وكانت قديماً أخر الحجاز وأول الشام ، وكانت نقطة تجمع حجاج مصر والـــشام ، وتعتبـــر المفتـــاح الشمالي للبحر الأحمر ، انظر ياقوت الحموى ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص٢٩٢

٧٥- أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص٣٧

٧٦- Lanepoole , op.cit , P.175

٧٧- إبن جبير ، الرحلة ، ص٣٤ ؛ باركر ، مرجع سابق ، ص٨٢

٧٨- غوانمه ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ ، والغراب وجمعها غربان هو نوع من المراكب القديمه التي عرفت منذ الرومان وإستخدمت في البحر الأحمر والمتوسط حتى عهد الدولة العثمانية ، وسميت بهذا الأسم لأن مقدمتها تشبه رأس الغراب ، وإستخدمت في المعارك الحربيه ، وكانت تطلى باللون الأسود ، لمزيد من التفاصيل انظر : سعاد ماهر ، البحرية في مصر الإسلاميه ، دار المجمع العلمى ، جده ، ١٣٩٩هـــ ، ص٣٥٩

٧٩- رانسيمان ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٤٩٦

٨٠- رياض شاهين ، مرجع سابق ، ص ١٢٥

٨١- عيذاب : ميناء على الساحل الغربي بالبحر الأحمر ، وهي ميناء تجارى يستقبل التجار القادمين من اليمن وهي الميناء الرئيسي للحجاج المغادرين من مصر إلى الأراضى المقدسه ، وكانت ذات نشاط تجارى كبير ، ومقصد التجار القادمين من الهند ، لمزيد من التفاصيل عن عيذاب أنظر: د.حياة الحجى ، الأهمية التاريخية لميناء عيذاب ، ندوة إتحاد المؤرخين العرب ، رقم (١١) القاهرة ٢٠٠٣ ، ص٨٣

٨٢- إبن جبير ، الرحلة ، ص٣٥

٨٣- رانسيمان ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٤٩٦ ؛ Lanepoole , op.cit , P.176

٨٤- إبن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٩

٨٥- إبن واصل ، مفرج الكروب ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص١٢٧ ؛ يوشع براور ، مرجع سابق ، ص٧٥

٨٦- أبو شامة ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٣٧

٨٧- إبن جبير ، الرحلة ، ص٣٤

٨٨- لامب ، مرجع سابق ، ص ٩٥

٨٩- Lanepoole , op.cit , P.176

٩٠- رانسيمان ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص٤٩٦

٩١- أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص٣٧

٩٢- يذكر المرؤخ أبو شامة أن سيبيل الزوجة الثالثه لبوهيموند الثالث ، أمير انطاكية ، كانت تتصل سراً بصلاح الدين الأيوبي ، وتخبره بتحركات الجيوش الصليبية أولاً بأول في مقابل ماكان يعطيه لها من أنفس الهدايا، وإنتقاماً من زوجها ، أنظر: أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٣١.

٩٣- إبن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣١٢ ؛ المقريزي ، الخطط المقريزيه ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ ، ج ١ ، ص٣٠٠

٩٤- لامب ، شعلة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٩٤

٩٥- حدد المؤرخون المسلمون أن مغامرة أرناط بدات في الفترة من شعبان وإنتهت بنهاية شهر ذي القعدة لعام ٥٧٨هـ ، ومعنى ذلك أنها كانت في فترة توافد الحجاج إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج ، ولذلك فإن لقاءها الحجاج والتعرض لهم سواء في البر أو البحر كان حتمياً ، أنظر : إبن واصل، مصدر سابق ، ج ٢، ص ٣١٢ ، والمقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص٣٠٠

٩٦- رانسيمان ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص٤٩٦

٩٧- حسام الدين لؤلؤ : كان أحد كبار قادة صلاح الدين ، ومن أشجع الفرسان ، شارك في العديد من المواجهات مع الصليبيين ، وكان واسع الثراء ، وكثير الجود بماله ،توفى في القاهرة سنة ٥٩٦هـ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٤٠

٩٨- المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٣٩

٩٩- إبن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) ، المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٢٣١

١٠٠- المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٣

١٠١- نظير سعداوى ، التاريخ الحربى المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧م ، ٢٩٣

١٠٢- جزيرة فرعون ، جزيرة صغيرة من الصخور الجرانيتيه الصلبه ، وتبعد عن نويبع حوالى ستين كيلومتراً، وتعتبر من الجزر المرجانيه ويبلغ حجمها حوالى الف متر وطولها شمالاً وجنوباً ٣٠٠ متر ، ويبلغ عرضها في أوسع نقطه مائة وخمسون متراً ، بنيت بها قلعه بها عدة أبراج للمراقبه ، ولعبت دوراً كبيراً في فترة الحروب الصليبية ، لمزيد من التفاصيل ، أنظر : رياض شاهين ، قلعة فرعون ، مرجع سابق.

١٠٣- إبن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٠

١٠٤- الداوية والاسبتارية : منظمتان صليبيتان تشكلتا في بداية قيام ممكلة بيت المقدس للعناية بمرضى الصليبيين وعلاجهم ، ثم تحولت إلى منظمات عسكريه ، وإتخذت طابعاً حربياً ، وصار عليهما أن تدافعا عن الممتلكات الصليبية في بلاد الشام وحماية أمـــاكنهم المقدسة ، ومحاربة المسلمين ، وساعدهم في ذلك ماجمعوه من ثروة طائلة وما أســتولوا عليه من ممتلكات عديدة حتى صار لهم مدن وقلاع وجيوش ، أنظر: عاشور ، الحركـــة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٠٠

١٠٥- إبن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٣١

١٠٦- إبن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٣١١

١٠٧- أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٧

١٠٨- Stevenson , op.cit , P.229

١٠٩- إبن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٣١

١١٠- أبو شامة ، كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٧

١١١- ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٤٤٩

١١٢- إبن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦٠ ؛ رانسيمان ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٦؛ غوانمه، مرجع سابق ، ص١٣٤. ويبدو أن هناك مبالغة فـــي إســتخدام مفــردة (النحر) فليس الغرض التمثيل بالأسرى بقدر ماهو الغرض إعلام الحجــاج - وكانــت المغامرة في زمن الحج - عن فشل هذه المغامرة التي تجرأ عليها الصليبيون ، وإشعار الحجاج بهذا الإنتصار.

١١٣- أبو شامة ، كتاب الروضـــتين ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، ويبـــدو أن قــضية الأســرى الصليبيين والتصرف حيالهم وأخبار الانتصار قد شغلت صلاح الدين حتى أنه بعث بعدة

خطابات إلى مصر وإلى بغداد ، يوضح فيها أخبار هذا الإنتصار ، ويبرر موقفه من قتل الأسرى حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، وجزاء ما أقدموا عليه.

١١٤- إبن جبير ، الرحلة ، ص ٢٩

١١٥- Muhammad , Asad , The road to Mecca , Max Renhard , London , 1954

وقد تُرجم الكتاب إلى العربية ، وطبع عدة طبعات تحت عنوان مختلف هو : الطريق إلى الإسلام ، ترجمة عفيف البعلكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧م.

ومحمد أسد ، يهودى نمساوى أسلم ، وحسن إسلامه ، وأشتهر بدفاعه الكبير عن الإسلام، وشارك في الشؤون العامة للمسلمين ، عن طريق مؤلفاته والمناصب التي تولاها. فقد عمل وزيراً مفوضاً لدولة باكستان لدى الأمم المتحدة ، وأظهر نشاطه في الأمم المتحدة - كما يقول في مقدمة الكتاب - بأنه لم يكن موظفاً فحسب ، بل رجلاً منسجماً تمام الإنسجام، عاطفياً وعقلياً مع الأهداف والغايات السياسيه والثقافيه للعالم الإسلامي بوجه عام ، وكان قد أسلم سنة ١٩٢٦م بعد سنوات من التجوال في أقطار العالم الإسلامي ، كان خلالها مراسلاً لعدد من الصحف الأوروبيه ، وقضى ست سنوات في خدمة الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله - أثناء مرحلة توحيد الجزيرة العربية ، وقام بعدة مهام في أنحاء الجزيرة العربية ، وقد تعلق بالثقافه العربية ، والفقه الإسلامي ، وكتب عدة مؤلفات ومحاضرات فيها ، لمزيد من التفاصيل أنظر: مقدمة الكتاب ، ص ١٦

١١٦- محمد أسد ، الطريق إلى الإسلام ، ص٢٧٩

١١٧- المرجع السابق ، ص٢٨٠

١١٨- في الكتاب في نسخته الإنجليزيه معلومات أكثر كما أنه مزين بعدد من الصور التأريخيه النادرة، ومنها صورة لذلك "الصلبى" الذي التقاه في الصحراء ، وتعطى الصورة التي نشرت على صفحة كامله نموذجاً لسحنات هؤلاء من حيث العيون الزرقاء والشعور الشقراء ، والبشرة البيضاء المكتويه بنار الشمس ، والتي تدل على أصلهم الشمالى ، لهذه المعلومات وصورة هذا "الصلبى" ، أنظر الصفحة رقم (٣١٩) من النسخة الإنجليزيه.

١١٩- محمد أسد ، الطريق إلى الإسلام ، ص ١٧٩

١٢٠- لامب ، شعلة الإسلام ، ص١٢٠

١٢١- king , op.cit , P.111

١٢٢- كارين أرمسترونج ، مرجع سابق ، ص ٣٠٤

١٢٣- ماير ، مرجع سابق ، ص١٩٦

١٢٤- غوانمه ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ ؛ رانسيمان ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص٤٩٦

١٢٥- Gibb , H , The Rise Of Saladin , London 1969 , P.582

١٢٦- أبو شامة ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٧

١٢٧- Grousset , op.cit , II , P.734

١٢٨- عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص٨٧٤

١٢٩- King , op.cit , P 112

١٣٠- إبن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٥٢

١٣١- أبو شامة ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٥

١٣٢- لامب ، مرجع سابق ، ص ٩٤

١٣٣- كان صلاح الدين في أعقاب فشل حملة أرناط ، قد عقد هدنه مع الصليبيين ، ومع ارناط نفسه، ولكن ذلك الفارس اللص - كما يسميه جروسيه - كان لايستطيع الحياة بدون أن ينهب ويسرق، أنظر : Grousset , op.cit , II , P.308

١٣٤- يصف إبن الأثير تلك القافلة بأنها قافلة عظيمة ، غزيرة الأموال ، كثيرة الرجال (إبن الأثير ، الكامل، ج ٩ ، ص ١٦٦) ، وتشيع المراجع الصليبية أنه كان مـن بـين الأسرى في تلك القافلة أخت صلاح الدين ، وهو خطأ لايوجد مايؤيده في أخبار المؤرخين المسلمين ، ولو كان الأمر كذلك لأشار إلى ذلك هؤلاء المؤرخين المعاصرين ، ويتضح

مما ذكره أبو شامة أن أخت صلاح الدين أتت في قافلة أخرى قادمة من مكة المكرمة ووصلت إلى دمشق في صيف ٥٨٠هـ/١١٨٧م ، أبو شامة ، ج ٢ ، ص ٧٥

١٣٥- كان يرافق هذه القافلة جماعه من الاجناد لحراستها ، ولكن ارناط نجح في أن ينصب كميناً لهم ، وقام بالقاء الأسرى في حصن الكرك ، وسامهم الشد والشدة ، أنظر أبو شامة ، المصدر السابق نفس الجزء ونفس الصفحة وأيضاً : المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٩٢

١٣٦- إبن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٤

١٣٧- رانسيمان ، ج ٢ ، ص ٥٠٩ ، ويبرر رانسيمان رفض أرناط لتعليمات ملك بيت المقدس إلى أن أرناط كان يشعر بأنه صاحب الفضل في وصول لوز جنان إلى عرش بيت المقدس ، ومساندته له ضد خصومه ، مما جعله يستخف بأوامر ملك بيت المقدس ، وعجز الملك عن إجباره.

١٣٨- يذكر إبن الأثير أن (القمص) الأمير ريموند الثالث أمير طرابلس راسل صلاح الدين وإنتمى إليه (إبن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٧٤) كما يشير إلى إختلاف الفرنج بالشام ، وعن الإتفاق بين بوهيموند الثالث أمير انطاكية وصلاح الدين أنظر : د.سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٩٩ ، كما يذكر لامب جانباً من هذه الخلافات والتي كانت حول تعيين لوز جنان على عرش بيت المقدس ، لامب ، مرجع سابق ، ص ٩٩ ، ويذهب أبو شامة بعيداُ في الحديث عن علاقات صلاح الدين بريموند فيقول : إلتجأ القمص إلى ظل السلطان ، فصار له من جملة الأتباع ، فقبله السلطان وقواه، وشد عضده بإطلاق سراح من كان من الأسرى من أصحابه ، فقويت مناصحته للمسلمين ، حتى كاد لولا خوف أهل ملته يسلم ، أبو شامة ، ج ٢ ، ص٧٤، ولكن سنجد فيما بعد أن ريموند الثالث، عندما بدأ صلاح الدين بشن هجماته على الصليبيين ، ينكث عهوده، وينظم إلى الصليبيين مجدداً ، أنظر المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص٩٣.

١٣٩- King , op.cit , P120 ويذكر أن معظم الصليبيين سقطوا في هذه المعركة بين قتلى وأسرى، وكان من جملة الأسرى مقدم الإسبتارية وعدد كبير من فرسانهم ، وعندما أراد الداوية نجدتهم، لم يتمكنوا ونجا مقدم الداوية جيراردى ريد فورث بصعوبه.

١٤٠- تقع حطين بالقرب من بحيرة طبرية ، وقد عسكر صلاح الدين غربيهـا حيـث المراعى ووفرة المياة، فيما عسكر الصليبيون على سفح جبل طبرية المشرف على سهل حطين ، وهي هضبة مرتفعة عن سطح البحر بأكثر من ٣٠٠ متر، وكانوا قد هدهم التعب والعطش في شهر يوليو شديد الحرارة ، أنظر: إبن واصل ، مفرج الكروب ،ج ٢، ص ١٨٩

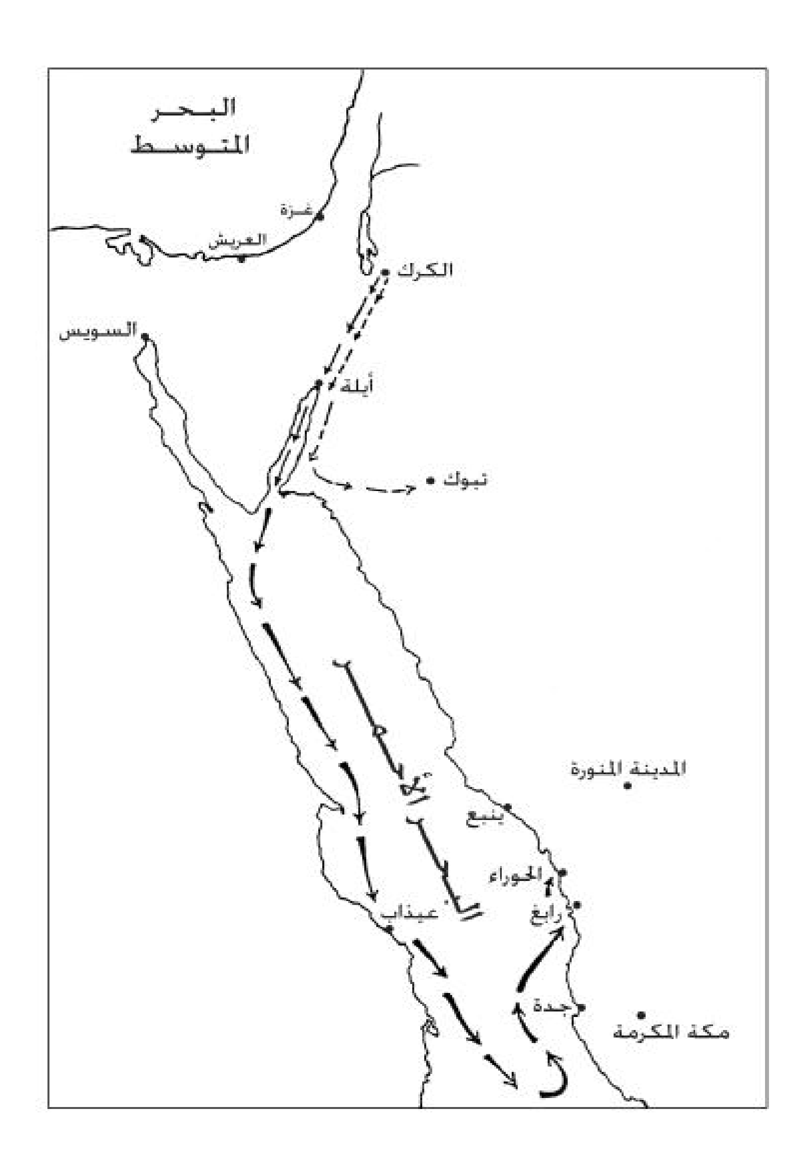
١٤١- إستطاع ريموند الثالث أمير طرابلس الذي نكث بعهوده مع صلاح الدين ، وعاد إلى الصليبيين، أن ينجو في قلة من رجاله ، ويفسر إبن الأثير الطريقة التي نجا بها أنه عندما أيقن من الهلاك أراد الهرب بأي وسيلة، فحمل حملة مكروب ، وعندما فتح له تقى الدين عمر إبن صلاح الدين طريقاً خرج منه وفر إلى صور أنظر : إبن الأثير ، ج ٩ ، ص١٧٨ . ويحفظ لنا المؤرخون أسم آسر ملك بيت المقدس وهو درباس الكردى ، واسم آسر ارناط وهو غلام الأمير إبراهيم المهراني ، أبو شامة ، كتاب الروضـتين ، ج ٢ ، ص٨٢

١٤٢- إبن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٧٨ ، أما لامب فيقول أنه كان ماء ورد مثلج ، كما أنه يذكر أن صلاح الدين قبل أن يقتل أرناط عرض عليه الإسلام ، فلم يفعل ، لامب، مرجع سابق ، ص١١٣

١٤٣- إبن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، أما لامب فيذكر أن قتله كـان بـ "النمجاة" وهي خنجر مقوس يشبه السيف القصير ، وأنه بهذه الضربة حل كتفه ، وتمم عليه من حضر ، ثم اخذ ورمى به إلى باب الخيمة (لامب ص١١٤) امـا سـبط إبـن الجوزى فيذكر أنهم أطعموا جثته للكلاب !! وهو مانستبعده لحسن تعامل صلاح الدين مع الصليبيين الأحياء فكيف بالأموات ، سبط إبن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص٢٥٢

١٤٤- عماد الدين الاصفهانى ، الفتح القسى ، مصدر سابق ، ص ٢٤ ؛ المقريــزي ، السلوك ، ج ٢، ص ٢٠٧

١٤٥- غوانمه ، مرجع سابق ، ص ١٥٨



خط سير حملة أرناط منذ إنطلاقها من الكرك وإنتقالها من الساحل المصري

إلى الساحل الحجازى

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

١- المصادر العربية

إبن الأثير (عز الدين أبو الحسن على الجزرى) ، الكامل فـــي التـــاريخ ، دار الفكـــر ، بيروت، ١٣٩٨هــ/١٩٧٨م

إبن جبير (أبو الحسن محمد بن احمد الاندلسى) ، رحلة إبن جبير ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة (د.ن) ١٩٥٥م.

إبن خلدون (عبدالرحمن محمد بن خلدون المغربى) ، المقدمـــة ، دار الفكـــر ، بيـــروت (د.ت).

أبو شامة (شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسى) كتاب الروضتين في اخبـــار الدولتين النورية والصلاحية ، دار الجيل ، بيروت (د.ت).

العماد الأصفهاني (محمد بن صفى الدين ابو الفرج) الفتح القسى في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، الدار القوميه للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥م.

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق الجديده ، بيروت (د.ت).

إبن القلانسى (أبو يعلى حمزة بن أسد بن على) ذيل تـــاريخ دمـــشق ، مطبعـــة الأبـــاء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م.

إبن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل) البداية والنهايه ، مطبعـــة الـــسعادة ، القـــاهرة ١٣٥٨هـــ.

المقريزي (تقى الدين أحمد بن على) السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٧م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، ط الثانية ، القاهرة ، مكتبة الثقافـــه العربية ، (د.ت)

سبط إبن الجوزى (يوسف بن قزاوغلى) مرآة الزمان ، دمشق ، دار حسان ، ١٤٠٤هـــ.

إبن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) مفرج الكروب في أخبار بني أيـــوب ، تحقيـــق جمال الدين الشيال ، (د.ن) القاهرة ١٩٦٠م.

ياقوت الحموى (شهاب الدين ياقوت الحموى) معجم البلـــدان ، دار صـــادر ، بيـــروت (١٩٩٥م)

<u>٢- المراجع العربية</u>

سعداوى (نظير حسان) التاريخ الحربى المصرى في عهد صلاح الدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م.

شاهين (رياض مصطفى أحمد) قلعة جزيرة فرعون ساحة للصدام الصليبي الإسلامي ، ندوة إتحاد المؤرخين العرب رقم (١١) تحت عنوان البحر الأحمر عبر عصور التاريخ ، القاهرة ٢٠٠٣م.

عاشور (سعيد عبدالفتاح) الحركة الصليبية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو المــصريه ، القاهرة ١٩٧١م.

مصر والشام في عهد الأيــوبيين والمماليــك ، دار النهــضة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٢م.

عطيه (حسين محمد) إمارة انطاكية الصليبية والمــسلمون ، دار المعرفــة الجامعيــة ، الإسكندرية ، ١٩٨٥م.

غوانمه (يوسف حسن درويش) إمارة الكرك الايوبية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، عمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

رستم (أسد) كنيسة مدينة انطاكية العظمى ، منشورات المكتبــة البولــسيه ، بيــروت ، ١٩٨٨م.

ماهر (سعاد) البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار المجمع العلمــى ، جــدة ١٣٩٩هـ.

محمد (عمر يحي) الحملة الصليبية الأولى :بيزنطياً وغربياً وإسلامياً ، مكتبة دار جده ، جدة ١٤٢٦هـ.

مقبل (فهمى توفيق) الفاطميون والصليبيون ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د.ت).

٣- المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة:

أسد (محمد) الطريق إلى الإسلام ، ترجمة عفيف البعلبكى ، دار العلم لملايين ، بيروت ١٩٧٧م.

أرمسترونج (كارين) الحرب المقدسة ، ترجمة سامي الكعكى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ٢٠٠٤م.

باركر (أرنست) الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ، ط ٢ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٧م.

براور (يوشع)عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه حسن ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م.

الصورى (وليم) الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق د.حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥م.

رانسيمان (ستيفن) تاريخ الحملات الصليبية ، ترجمة نور الدين خليل ، مكتبة الشروق ١٩٩٤م.

ماير (هانس اير هارد) تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم ، مجمع الفاتح للجامعات ، طرابلس ١٩٩٠م.

كاهن (كلود) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشيخ ، دار سينا للنشر ، القاهرة ١٩٩٥م

لامب (هارولد) شعلة الإسلام ، ترجمة محمود عبدالله يعقوب ، مكتية دار المتنبى ، بغداد ١٩٦٧م.

٤- المراجع والمصادر الأجنبيه

Asad (Muhammad): The road to Mecca , Max reinhard , London , 1954.

Baldwin (M.): The Decline and Fall of Jerusalem. , Essays in Setton (K.M.): A History of the Crusades, Vol I , Madison , Milwaukee , and London , 1969.

Duggan (A.): The story of the Crusades , London , 1969.

Gibb (H.): The Rise of Saladin , Essay in Setton
(K. M.) : Vol I , 1969.

Grousset (R.): Hist. des Croisades et de Royaume France de Jerusalem , Vol. II , Paris , 1940.

Hill (G.): A History of Cyprus , Cambridge , 1940.

King (E.): The Knights hospitallers in the Holy Land , London , 1931.

Lane Poole (E.): Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem , Beirut , 1966.

Ostrogorsky (G.): Hist. of the Byzantine State , second edition , London , Basil black well 1956.

Stevenson (W. B.): The Crusades in the East , Beirut , Lebanon - Bookshop, 1968.

Vasiliev, A.A.: History of the Byzantine Empire , Vol.I , USA : The University of Wisconsin press , 1957**.**